منارة الإسلام

№ 1 (17)' 2021

مجلة منارة الإسلام مسجلة
لدى الهيئة الفدرالية للرقابة على
الاتصالات، والتكنولوجيات المعلوماتية
ووسائل الاتصال الجماهيري
(Roskomnadzor).
شهادة التسجيل: اس ام اي بي اي
-77 رقم اف اس 37594
بتاريخ 17 سبتمبر 2009
ISSN 2412-4125

المؤسس:
دار النشر "مدينة"
عنوان هيئة التحرير: 129090
روسيا الاتحادية، مدينة موسكو،
شارع فيبولزوف بيريولوك بناء رقم 7
هاتف / فاكس: 04-47-684 (495) 7+
البريد الالكتروني: muslimforum@outlook.com
الموقع الالكتروني: www.muslim-forum.info

© 2020 شركة "دار النشر "مدينة" المساهمة المفتوحة

مجلس التحرير:

المفتي الشيخ راوي عين الدين
رئيس الإدارة الدينية لمسلمي روسيا،
الأمين العام للمنتدى الإسلامي العالمي،
دكتور في الفلسفة
(موسكو، روسيا الاتحادية)

د. أبو ذر إبراهيم تركمان
عضو في المجلس الأعلى للثورة الثقافية الإيرانية،
رئيس رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية في إيران
(طهران، إيران)

عثمان خان عليموف
المفتي الأعلى لجمهورية أوزباكستان،
رئيس إدارة مسلمي جمهورية أوزباكستان
(طشقند، أوزباكستان)

ناوريزباي تاجانولي
المفتي الأعلى لجمهورية كازاخستان،
رئيس الإدارة الدينية لمسلمي جمهورية كازاخستان
(نورسلطان، كازاخستان)

عبدالحكيم مراد (تيم وينتر)
عميد كلية كامبريدج الإسلامية،
أستاذ البحوث الإسلامية بكلية كامبريدج الإسلامية
(لندن، بريطانيا)

د. عبد الله رضوان
الأمين العام للمركز الثقافي الإسلامي في إيطاليا
(روما، إيطاليا)

د. مراد غول
رئيس الفيدرالية الإسلامية في برلين
(برلين، ألمانيا)

رئيس التحرير:

ضمير محيي الدين
النائب الأول لرئيس الإدارة الدينية لمسلمي روسيا الاتحادية،
السكرتير المسؤول للمنتدى الإسلامي العالمي، مدير المعهد الإسلامي
بموسكو، أستاذ في جامعة سانت بطرسبورغ الحكومية،
دكتور في علوم الإلهيات
(موسكو، روسيا الاتحادية)

نائب رئيس التحرير:

ضمير خير الدين
نائب رئيس الإدارة الدينية لمسلمي روسيا الاتحادية لشؤون
التعليم والعلوم والثقافة، دكتور في العلوم التاريخية
(موسكو، روسيا الاتحادية)

المحرر المسؤول:

رينات إبراهيم
مسؤول العلاقات الخارجية للمعهد الإسلامي بموسكو (موسكو، روسيا)

أولغا زابلوتسكايا
رئيسة مركز دراسة مخطوطات التراث الإسلامي بالمعهد الإسلامي بموسكو
(سانت بطرسبورغ، روسيا الاتحادية)

تحرير النصوص العربية:

د. عاطف روحان عبد السميع عبد الرقيب
دكتور في الهندسة الطبية
(فلاديمير، روسيا الاتحادية)

المحرر المدقق:

ألكسندرا كونكوفا

مسؤول الإصدار:

إلدار نوريمانوف

تنسيق:

yustudio.ru

تنشر المجلة بمساعدة صندوق دعم الثقافة الإسلامية والعلم والتعليم

المحتوى

3 **كلمة رئيس التحرير**
أ.د. ضمير محيي الدين

4 **إقتباسات محورية من كلمات المشاركين**

10 **الجائحة — فرصة للتأمل والتطور**
المفتى الشيخ راوي عين الدين

13 **كلمة ترحيبية في المنتدى**
الكاردينال ميغيل أنخيل أيوسو جيكسوت

15 **دور الأخلاق الدينية في مواجهة الجائحة**
أ.د. نظير محمد عياد

18 **التنشئة الإجتماعية وبناء جيل مسالم**
د. أنور غيتسيتش

22 **الحوار بين الثقافات في مكافحة العنف والتطرف**
د. عقيل شيرينوف

26 **مواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين بروح اللقاء والاحترام**
د. ماريك مورون

29 **الأخلاقيات الجديدة للرحمة**
د. إبراهيم أوزدمير

33 **البيان الختامي**
المنتدى الإسلامي العالمي السادس عشر "ثقافة اللقاء: الأخلاق الدينية في زمن الجائحة"

34 **التوافق بين الأديان كطريق مشترك للنجاة والإبداع**
أ.د. ضمير محيي الدين

41 **رسالة البابا فرانسيس عن ترجمة رسالته**
المعنونة بـ "فراتيللي توتي"، "جميعنا إخوة"
البابا فرانسيس

ضمير محيي الدين
السكرتير المسؤول للمنتدى الإسلامي العالمي،
رئيس تحرير مجلة منارة الإسلام،
أستاذ في جامعة سانت بطرسبورغ الحكومية،
دكتور في علوم الإلهيات (موسكو، روسيا)

كلمة رئيس التحرير

السلام عليكم ورحمة الله و بركاته

اليوم، عندما بدأ العالم يتعافى تدريجياً من الأزمة الحادة، والتجارب الصعبة، والتغيرات التي اجتاحت حياتنا خلال انتشار جائحة فيروس كورونا، بدأنا نتعلم الدروس الأولى لهذه الأزمة.

وفي هذا الظرف الذي وجدنا فيه أنفسنا معزولين عن بعضنا البعض، ومستائين من اضطراب أسلوب الحياة المعتاد ضمن حالة من اغلاق الحدود لمعظم الدول، نترك الخلافات والنزاعات جانباً، ونحاول التكاتف من أجل الكفاح ضد العدو المشترك الجديد للبشرية – المرض الذي يجلب الموت وفقدان الأحبة والشعور بخيبة الأمل والخوف من المستقبل.

في زمن انتشار الوباء، أصبح موضوع الحوار بين الأديان ذا أهمية كبيرة أكثر من أي وقت مضى. ولكن، ماهي لغة التوافق القيمي، التي يمكن للمسلمين وممثلي الديانات الأخرى على أساسها أن يجدوا مكاناً لهم في هذا العالم المتحول بسرعة؟ وكيف يمكن للشعوب أن تبني مجتمعات متناغمة، وتتغلب على الانقسامات والتناقضات، مع اعترافها بحق كل فرد في أن يكون مختلفاً؟

لقد كرّس المنتدى الإسلامي العالمي السادس عشر "ثقافة اللقاء: الأخلاق الدينية في زمن الجائحة"، المنعقد عبر تقنية الاتصال المرئي في 10 ديسمبر 2020، أعماله من أجل محاولة الإجابة على هذه الأسئلة. ويتضمن هذا العدد الجديد من مجلتنا، تقريراً عن أعمال المنتدى، والذي يضم مجموعة واسعة من المتحدثين من أوروبا والعالم العربي والقارة الأمريكية، إلى جانب رسائل من إخواننا في العقيدة الإبراهيمية – ممثلي الكنيسة الكاثوليكية.

كان الموضوع الرئيسي لفريق المؤلفين والكتّاب – رجال الدين المسلمين والمسيحيين، والباحثين ورؤساء المنظمات الدولية الكبرى – هو أخلاقيات التفاعل بين الثقافات، وتدوير الزوايا الحادة فيما يتعلق بالاختلافات الطائفية في فترة انتشار الوباء. حيث تتقاطع هذه الفكرة مع مفهوم "ثقافة اللقاء" المنعكس في الرسالة البابوية "فراتيللي توتي"، التي أطلقها قداسة البابا فرانسيس في 3 أكتوبر2020، والتي يمكن أن تحل محل "ثقافة الصدام" الحالية أو "ثقافة المواجهة".

وفي ضوء الحدث الهام الذي جرى يوم 4 فبراير 2019، والمتمثل بالتوقيع على "وثيقة الأخوة الإنسانية" من قبل بابا الفاتيكان، والإمام الأكبر أحمد الطيب، شيخ الأزهر الشريف، قررت هيئة تحرير المجلة نشر مقدمة للرسالة العامة لبابا الفاتيكان في هذا العدد، وهي تعلق آمالاً طيبة على هذه البادرة التي تدعو إلى الوحدة ونشر المحبة والخير.

وفي هذا العدد ستتعرفون على الكلمات التي ألقيت خلال المنتدى وتناولت مواضيع متعلقة بقيم التقارب بين الطوائف الدينية، والتأكيد على مشاعر الاحترام المتبادل في مواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين، والتي تقدم بها كل من: سماحة المفتي الشيخ راوي عين الدين رئيس الإدارة الدينية لمسلمي روسيا الاتحادية، الكاردينال ميغيل أنخيل أيوسو جيكسوت رئيس المجلس البابوي للحوار بين الأديان ورئيس لجنة العلاقات الدينية مع المسلمين، ماريك مورون باحث في مركز البحوث المتخصص في مقارنة الحضارات بجامعة جاجيلونيان في كراكوف.

بالإضافة إلى ذلك تم الأخذ بعين الإعتبار آراء الخبراء وتوقعاتهم حول التغييرات القادمة التي ستمليها علينا العولمة بعد الوباء.

أما المسائل المتعلقة بالأحكام الشرعية والفلسفية حول علاقة الإنسان بالخالق، وجوانب تنظيم الحياة الاجتماعية القائمة على بعض الصفات كالمسؤولية والرحمة، فتجدونها في الأبحاث والمواد العلمية التي تقدم بها: الدكتور نظير محمد عياد الأمين العام لمجمع الأزهر للبحوث الإسلامية، والدكتور أنور غيتسيتش عميد كلية الدراسات الإسلامية في نوفي بازار، والدكتور عقيل شيرينوف مدير معهد اللاهوت في أذربيجان، والدكتور إبراهيم أوزدمير كبير الباحثين في الثقافة والتاريخ والفلسفة بأكاديمية أبو (توركو، فنلندا).

وبما أن المنتدى من خلال توجهه يبحث في قضايا العلاقات بين الأديان، فقد تم تخصيص انعقاد المنتدى للإحتفال بالذكرى الـ1150 لميلاد المفكر الكبير أبو نصر الفارابي، الذي كان من أوائل علماء الشرق الإسلامي الذين عملو على صياغة نظريات أخلاقية وسياسية متناغمة حول بناء وتشكيل المدينة الفاضلة. وعلى الرغم من أن هناك قرون عديدة من الزمان تفصلنا عن الفارابي، إلا أن آرائه ليست بعيدة عن مواضيع البحث والمشاكل التي يعاني منها واقعنا المعاصر. ففي هذا العالم الذي شهد انهيار حضارات عظيمة بسبب الافتقار إلى الروح والانسجام والوفاق، حان الوقت أخيراً لكي نضع حداً للروايات العدائية والاستفزازية.

أتضرع إلى الله رب العالمين أن يتقبل جهودنا المبذولة في سبيل تحقيق التوافق والانسجام العالمي وانتصار الإنسانية، وأن يضاعف ثمار هذه الجهود الرائعة.

إقتباسات محورية من كلمات المشاركين

د. شوقي علام،
مفتي الديار المصرية

"بسبب الجائحة، وجب على المسلمين، وكذلك على ممثلي الديانات الأخرى، تعزيز العلاقات فيما بينهم من أجل مواجهة الجائحة والإرهاب والمشاكل الأخرى الموجودة في العالم. كل ما يحدث الآن في العالم من أشياء سلبية يجب أن يتم رفضه من قبل ممثلي الطوائف المختلفة، الذين لن يتمكنوا من مواجهة التهديدات العالمية إلا بالاتحاد".

د. سليم أرغون،
نائب رئيس الشؤون الدينية لجمهورية تركيا (أنقرة، تركيا)

"في وقت الجائحة، عندما يتعين على جميع الناس أن يتحدوا في مواجهة العدوى المنتشرة، نرى العديد من قادة العالم ينخرطون في التمييز العنصري ضد المسلمين وهذا الأمر يجب أن ينتهي. يجب على معظم دول العالم أن تحذو حذو الاتحاد الروسي وتركيا، حيث يتعايش ممثلو الطوائف والأديان المختلفة بسلام. أود أن أؤكد على أن تقاليد الجديدية في بلداننا بحاجة إلى تطوير ونقل تجربة استعمالها إلى العديد من بلدان العالم الأخرى".

المفتي ناوريزباي تاغانولي،
رئيس الإدارة الدينية لمسلمي كازاخستان
(نورسلطان، كازاخستان)

"أود أن أشير بشكل خاص إلى حقيقة أن روسيا وكازاخستان يعتبران شريكان استراتيجيان طويلا الأمد وأن مشاريعهم المشتركة تساعد في إزدهار الإسلام في روسيا وكازاخستان. خلال الجائحة، اتحد العديد من الناس في مواجهة هذا التهديد المشترك، وبلدانا بالطبع ليسا استثناء. أتمنى من كل قلبي أن يكون هناك تعاون أكبر بين الإدارات الدينية للبلدين".

إقتباسات محورية من كلمات المشاركين

المفتي عثمان خان عليموف،
رئيس إدارة مسلمي أوزبكستان (طشقند، أوزبكستان)

"في عالمنا الحالي المعقد، حيث يواجه العالم الإسلامي تحديات مختلفة، من المهم أكثر من أي وقت مضى أن يعمل القادة الدينيون وعلماء الإسلام معًا. في السنوات الأخيرة، من خلال جهود قادة دولنا، أخذ التعاون بين بلداننا يتوسع في اتجاهات مختلفة. وبشكل خاص، في مجال تعزيز علاقات الأخوة والصداقة والتعاون الشامل بين المنظمات الدينية الذي وصل إلى مستوى غير مسبوق".

المفتي مقصد بيك توكتوموشيف،
رئيس الادارة الدينية لمسلمي قيرغيزستان
(بيشكيك، قيرغيزستان)

"سيكتسب الحوار الفعلي بين الأديان نشاطه إذا وجد التعاون الحقيقي في مجال إحياء القيم الإنسانية العالمية. جميع الديانات الإبراهيمية تجتمع في جوهر العبادة وهو "عبادة الخالق القدير من خلال الاحترام المتبادل بين الناس".

رشاد علي يارلي،
نائب رئيس إدارة مسلمي القوقاز (باكو، أذربيجان)

"للأسف، فتحت الحملة الدعائية المؤيدة للأرمن في هذه الأيام جبهة جديدة من التصعيد ضد أذربيجان تستند إلى تصريحات كاذبة حول مايزعمونه من عدوان ثقافي على الآثار المسيحية في الأراضي الأذربيجانية المحررة. مرة أخرى، يحاول الجانب الأرمني ومن يسمون أنفسهم بالمدافعين عن فكرة "أرمينيا العظيمة" أن يفرضوا كذبتهم على العالم بأسره بأن الصراع الأرمني الأذربيجاني حول ناغورنو كاراباخ، الذي نشأ بسبب الاحتلال الأرمني للأراضي الأذربيجانية، هو مواجهة مسيحية إسلامية".

إقتباسات محورية من كلمات المشاركين

عزيز حسنوفيتش،
رئيس المجتمع الإسلامي في كرواتيا (زغرب، كرواتيا)

"في مرحلة الجائحة، باعتقادي، ينبغي بذل الجهود لرفع جودة التعليم الإسلامي. من الضروري أيضًا استخدام آليات مختلفة لتوحيد المسلمين ونشر الوعي الديني بينهم. نحن بحاجة لتعليم جميع المسلمين وتوحيدهم ورفع مستواهم الديني".

د. خالد إيرين،
المدير العام لمركز الأبحاث في التاريخ والفنون والثقافة الإسلامية التابع لمنظمة التعاون الإسلامي (إرسيكا) (اسطنبول، تركيا)

"جميع الأديان، وخاصة السماوية، تساهم في هذا الأمر، حيث توجد في تعاليمها مبادئ للتعايش السلمي بين الشعوب، حتى في ظروف التنوع العرقي والديني. يجب أن يشكل التطبيق العملي لهذه المبادئ اللبنة الأساسية لخلق ثقافة جديدة للقاء - ثقافة الاعتراف والتضامن. في الوقت نفسه، إذا نظرنا بعدسة التاريخ بالإضافة الى ماهو واقع اليوم، هناك تحيزات سلبية ضد الثقافات أو الأديان الأخرى، ولكن، من وجهة النظر التاريخية، لا ينبغي اعتبار الأديان نفسها هي الأسباب، وإنما الوضع السياسي والمنافسة الاقتصادية، بالإضافة الى الأشكال المختلفة من الهيمنة والتمييز".

السفير خالد فتاح الرحمن عمر،
مدير قسم الحوار والتنوع الثقافي بالمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) (الرباط، المغرب)

"يجب الإنتباه إلى أنه فيما يتعلق بالوضع الحالي، فقد تغيرت في العالم طرق التواصل بين الناس وقضايا الأخلاق الدينية. والسؤال الرئيسي الذي نطرحه على أنفسنا هو - إلى متى سيستمر هذا الوضع؟ لقد أثر الوباء على المناخ الأخلاقي للمجتمع وسيكون من الضروري مع مرور الوقت إما قبوله أو السعي لتغييره إلى مناخ مقبول لنا بشكل أكبر، باستخدام المبادئ الدينية".

إقتباسات محورية من كلمات المشاركين

د. أبو ذر إبراهيمي تركمان،
رئيس رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية في
جمهورية إيران الإسلامية (طهران، إيران)

"في العصر الحالي وفي العالم الحديث، هناك تجاهل للأخلاق والدين. ففي المسيحية واليهودية والإسلام، تم إيلاء اهتمامًا خاصًا للقضايا الأخلاقية والدينية، والتي تم شرحها من قبل جميع الكتب السماوية. هذه الكتب التي ترسم الطريق إلى الكمال المطلق والى الحقيقة".

حجة الإسلام حميد شهرياري،
رئيس المجمع العالمي للتقريب بين
المذاهب الإسلامية (طهران، إيران)

"إن تعمير الأرض واستخدامها من وجهة نظر الإسلام مرهون بطاعة الله. فجميع الناس شركاء في استخدام مخرجات الطبيعة المسموح بها، لذلك يجب على الناس أن يتساعدوا ويتعاطفوا مع بعضهم البعض في هذا العمل وفي ثمراته دون أي تمييز على أساس الجنس أو اللون أو العرق".

أحمد الدبيان،
المدير العام للمركز الثقافي الإسلامي
بلندن (لندن، المملكة المتحدة)

"كل هذا النشاط، بطريقة أو بأخرى، يوضح لنا جميعًا مدى أهمية السلام، العدالة، الانفتاح، حقوق الإنسان والتفاهم المتبادل بين جميع المجتمعات وجميع الأديان. بالإضافة إلى ذلك، اليوم بفضل تطور التكنولوجيا، أصبحنا أكثر قربًا، وآمل أيضًا أن يصبح التفاهم بين المسلمين وغير المسلمين أقوى وأعمق. الآن يجري الحديث عن قيم دولية موحدة لجميع الأديان. لكن المشكلة الرئيسية التي تواجه العالم تكمن في أن مستويات التفاهم بين الزعماء الدينيين والقادة السياسيين مختلفة للغاية".

إقتباسات محورية من كلمات المشاركين

شمس الدين محمد حافظ،
عميد (رئيس الدير) المسجد الكبير بباريس (باريس، فرنسا)

"في بداية الجائحة، اعتبر العديد من الفرنسيين أن كوفيد-19 هو عقاب إلهي، ولكن سرعان ما رفض ممثلو الأديان المختلفة هذه الفكرة، بتذكرهم لإحسان الخالق. هذه المخاوف الأخروية شائعة في تاريخ البشرية، لكنها تقوض قدرتنا على التصرف لأنها تستند إلى العقائد القدرية، على عكس المبدأ القرآني الذي يدعو إلى العمل والمسؤولية المدنية".

السيد إقبال سكراني،
مؤسس وأول أمين عام للمجلس الإسلامي في بريطانيا (لندن، بريطانيا)

"إن مستوى الإسلاموفوبيا (رهاب الإسلام) آخذ في الازدياد في جميع أنحاء العالم، وهناك تهميش للمجتمع الإسلامي والأمة الإسلامية. على الرغم من هذا، يجب على المسلمين أن يكونوا متفائلين وأن يتبعوا شرع الله. لكن ماأغضبني بشدة هو ماحدث في سريلانكا. حيث تم حرق جثث الموتى المسلمين هناك، وهو ما يتعارض تمامًا مع تعاليم الإسلام. هذه الحادثة، في رأيي، تعبر عن عدم احترام التقاليد الإسلامية وينبغي إدانتها من قبل المجتمع الدولي بأسره. وبالفعل، قامت العديد من المنظمات الرائدة بإدانة هذا الفعل، وأدعو جميع علماء الدين وقادة الأمة وعامة الناس ممن يهتمون بهذه القضايا أن يعملوا على إيجاد حل لهذه المشكلة ونشر المعلومات عن هذه الحادثة".

كريم عسكري،
المدير التنفيذي للصندوق الإسلامي في آيسلندا (ريكيافيك، آيسلندا)

"في فترة الجائحة والكوارث العالمية المختلفة، أصبح العالم بحاجة أكبر للتقارب بمعناه الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي. وحدهم الزعماء الدينيون من يساهمون في تطوير الحوار وتعزيز التقارب بين الشعوب. فأهم شيء هو الاستماع لبعضنا البعض ومن ثم تصبح وحدتنا أكثر إنتاجية".

إقتباسات محورية من كلمات المشاركين

الدكتور عبد الله رضوان،
الأمين العام للمركز الثقافي الإسلامي الإيطالي (روما، إيطاليا)

"في وقتنا الحاضر، وقت التحول الرقمي، تم إزالة الحدود بين البلدان لدرجة أن أبعد الأماكن على وجه الأرض أصبحت قريبة جدًا. ولهذا السبب، يستطيع الكثير من الناس الابحار في مجال الدين والفلسفة وأخوية شعوب العالم. الجدير بالذكر أيضًا هو العلاقة بين الدين والعلمانية (التي، وفقًا للبعض، نشأت حصريًا في الغرب). فلقد انتشرت العلمانية في جميع أنحاء العالم وارتباطها المباشر بالإسلام مهم للغاية".

د. خالد الطرودي،
مدير مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان،
جامعة الزيتونة (القيروان، تونس)

"جميع الديانات التوحيدية تدعو الناس إلى الرحمة والسلام والوئام والسعي لتركيز آرائنا نحو التسامح تجاه ممثلي الديانات الأخرى. فأهم جوانب الحياة هي الإنسان، الوجود، الوقت والعمل. يجب علينا اتباعها حتى يكون المجتمع على الطريق الصحيح".

سيد سلمان تشيشتي،
رئيس مؤسسة تشيشتي (دلهي، الهند)

"هذا المنتدى هو منصة ممتازة لنشر الإسلام والدعوة اليه. اليوم المزيد والمزيد من الناس يعتنقون الإسلام، كما هو الحال في الهند، وأنا متأكد من أن عددهم سيستمر في الازدياد. نحتاج جميعًا إلى نشر دين الله وإخبار الناس أن الإسلام هو الدين الأكثر سلمًا في العالم. أنا كلي ثقة بأن بعد وهلة من الزمن سيفهم العالم أجمع هذا الأمر".

الجائحة — فرصة للتأمل والتطور

المفتي راوي عين الدين،
رئيس الإدارة الدينية لمسلمي روسيا الاتحادية،
رئيس مجلس شورى المفتين لروسيا،
الأمين العام للمنتدى الإسلامي العالمي،
دكتوراة في علم الفلسفة (موسكو، روسيا)

كلمة سماحة المفتي الشيخ راوي عين الدين، رئيس الإدارة الدينية لمسلمي روسيا الاتحادية، رئيس مجلس شورى المفتين لروسيا، الأمين العام للمنتدى الإسلامي العالمي، التي ألقاها في المنتدى الإسلامي العالمي السادس عشر "ثقافة اللقاء: الأخلاق الدينية في عصر الجائحة":

أعزائي المشاركين في المنتدى الإسلامي العالمي السادس عشر.

اليوم، يجد كل واحد منا نفسه محتجزًا داخل حدود منزله أو مكتبه، وكل منا مهتم بدرجة أو بأخرى بالقضايا المتعلقة بصحته والحفاظ على حياته. وبفضل انتشار جائحة كوفيد-19 استطاع كل واحدٍ منا أن يعود إلى نفسه وفضائه الفردي الخاص به، ومسؤوليته الشخصية. وفي هذا الواقع الوبائي، تجد كل شخص مساوٍ لنفسه، ولم يعد بإمكانه الاختباء وراء أي مكانة إجتماعية، أوجماهيرية، أو أُبَّهة "عظمة" البيئة الخارجية المحيطة. وتلك المصاعب التي واجهها كل من النظام الصحي العالمي وحكومات معظم دول العالم كانت قد بددت الأوهام المتعلقة بالرفاهية والتحكم والأنظمة النافذة، وعلى ما يبدو تُرِكَ الإنسان وحيداً في مواجهةٍ مع نفسه، ومع كل ما يعتريه من مخاوف وقلق. والحالة التي وجدنا أنفسنا فيها اليوم، على الرغم من أنها لا تحمل في طياتها مصاعب معيشية أونفسية، جعلتنا أكثر من أي وقت مضى نقترب من لحظة الحقيقة، ودفعتنا إلى أن نكون صادقين مع أنفسنا ومع الآخرين من حولنا.

لقد أصبح الوباء تربةً خصبةً لتقوية الحالة المزاجية التي تعرقل الوجود المتناغم والتطور المنهجي في المجتمعات، وهي تتمثل في تعزيز الفكر الخرافي السحري، والتي من سماتها المميزة الإعتقاد بعدم فهم العالم، وتلك القوانين التي يقوم على أساسها. إلى جانب ذلك يدفع الخوف والعجز الإنسان إلى ملجأ نفسي، يتجلى في الاعتقاد بجميع أنواع الخرافات والأحكام المسبقة. سواء كان ذلك إنكاراً لوجود العدوى بفيروس كورونا أوالإعتقاد بأن أيدي ما وراء منشأه وانتشاره. والقليل فقط من يستطيعون مقاومة إغراءات الهروب من الفهم العميق لهذا الوباء والأسئلة الأخلاقية والروحية التي يطرحها على البشرية، مفضلين في الوقت ذاته الاختباء خلف ستار الإنكار وتوجيه اللعنات.

واليوم، تماماً كما كان يفعل أسلافنا، يفضل الكثيرون أن ينسب كل ما نصادفه في حياتنا من أمور غير مفهومة ومثيرة للخوف، على أنها من صنع قوى الشر والشياطين التي يتوجب تجميعها وحبسها في الزنازين، حتى من دون محاولة فهم المعنى الروحي لهذا الإلتقاء. في حين أن المعنى القابع ضمن أي اختبار يمكن أن نصادفه في حياتنا – يمكن فهمه على أنه لقاء مع الخالق، وفرصة لفهم حكمته ورحمته.

وفي نفس منحى هذا التفكير الخرافي، يكمن ذلك المنطق الذي يقسم العالم إلى فريقين "نحن" و "هم"، إلى فريق يمثل من هم منا وفريق آخر يمثل الغرباء عنا. ومع ذلك تعالوا نطرح على أنفسنا السؤال التالي: هل هذا التراجع السريع للبشرية نحو الوعي الخرافي تمت ملاحظته فقط في حالة انتشار الوباء؟ إنني أميل إلى الإعتقاد بأن الوباء كان عاملاً محفزاً لهذه العملية، ولكنه لم يكن السبب الجذري لهذا التراجع. وفي موازاة ذلك، ومع انتشار الوباء، لاحظنا في العام 2020م، عملية غرس لإيديولوجيا "صراع الحضارات"، والتي تؤكد على أن تواجد ممثلين من مختلف التقاليد الدينية، وبشكل متزامن ضمن صفوف الحضارات والشعوب الأكثر تطوراً، هو أمر مستحيل بشكل مبدئي.

إن المنطق القائل بأننا "نحن" لايمكننا تحقيق السعادة والإزدهار طالما "هم" موجودون، و "هم" هنا وفقاً لرؤيتهم، هم الأفراد والمجتمعات، هو منطق في غاية الخطورة. وبحسب هذا المنطق، فإن اللقاء مع المجهول، أو مع الجديد، وفوق ذلك كله مع غير المفهوم – هو عداوة لا تقبل المصالحة فيها، وليس اختبار أوتجربة. هذا التعطش للمواجهة ورفض التعايش ينكشفان بشكل جلي في عمليات الإنتقام المجنونة والإجرامية والتي ترتكب كما يُزعَم دفاعاً عن الرسول (صلى الله عليه وسلم). وينكشفان أيضاً في السياسات غير العقلانية مطلقاً، والرامية إلى تشويه سمعة الإسلام والتشهير به، ووضع المجتمع المسلم في موضع المنبوذين ضمن ما يسمى بالعالم المتحضر. وبكل مرارة شاهدنا تلك المحاولات التي تهدف إلى تصوير الصراع العسكري الأخير في جنوب القوقاز على أنه صراع بين الأديان، الشيء الذي

فضيلة المفتي الشيخ راوي عين الدين

نعتبره أمراً غير مقبول على الإطلاق وبعيداً عن المسؤولية.

لقد عملنا خلال انعقاد الإجتماعات السنوية للمنتدى الإسلامي العالمي، على إيلاء مسألة التغلب على الأفكار المسبقة وعلى التفكير التصادمي والحصري، أهمية خاصة. حيث أنه ابتداءً من المنتدى اليوبيلي العاشر، تعقد اجتماعات المنتدى الإسلامي العالمي تحت راية الأفكار الإنسانية القرآنية والرحمة الإلهية الشاملة التي وسعت شيء.

المفكر الإسلامي الكبير أبو نصر الفارابي، والذي يُحتَفلُ هذا العام بعيد ميلاده الـ1150 برعاية اليونسكو، وبعد أن توصل إلى استيعاب وإدراك المعاني العميقة للوحي، قام بصياغة نظرية المدينة الفاضلة، التي يتحقق فيها عظيم الخير وعلوّ الكمال. لقد أكد هذا المعلم الكبير أن خير الناس وسعادتهم ينبعان تحديداً من تضامنهم الحقيقي والمتكامل، "إن المدينة التي تكون وحدة الناس فيها متجلية بمد يد العون إلى بعضهم البعض في الأمور التي تجلب وتحقق لهم السعادة الحقيقية، هي مدينة مثالية، والمجتمع الذي يساعد فيه الناس بعضهم بعضاً لتحقيق السعادة هو مجتمع مثالي". يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز:

"وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ" (سورة المائدة، الآية 2).

الحمد لله خالق السموات والأرض، على أن جعل لتلك المعاني التي عكستها مناقشاتنا وتأملاتنا ترجمة تطبيقية مباشرة.

حيث أنه بعد أكثر من ألف عام من التباعد والفرقة والنزاع المتبادل، نشهد اليوم تقارباً أساسياً بين اثنتين من أكبر الديانات في العالم: المسيحية والإسلام. فقد كان اللقاء التاريخي الذي جمع بين قداسة البابا فرانسيس بابا الكنيسة الكاثوليكية وفضيلة الإمام الأكبر الشيخ الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر الشريف، في العام 2019م، علامةً فارقةً تشير إلى بدء مرحلة جديدة في هذه العملية. وفي شهر أكتوبر من ذلك العام، حظي هذا اللقاء باستمراره المنطقي، وذلك عبر مبادرة قداسة البابا فرانسيس التاريخية: ونحن هنا نتحدث عن الرسالة العامة التي أطلقها قداسة البابا بعنوان "فراتيللي توتي" – "جميعنا أخوة".

ومن هنا، يمكننا أن نستنتج أن الأفكار المركزية لهذه الرسالة العامة تتوافق إلى حد كبير مع القيم الأساسية للإسلام وتراثه الفكري. وبطبيعة الحال، فإن الرسالة التي احتوتها هذه الوثيقة جاءت متوافقةً مع المواقف التي يتم صياغتها والدفاع عنها في جميع منصات النقاش الدولية لمنتدانا: في موسكو، ولندن، وهلسنكي، وبرلين، وباريس. ونحن بدورنا نعرب عن ترحيبنا وتأييدنا الكامل للمبادرة الأخوية لقداسة البابا فرانسيس، وكتعبير عن هذا التضامن والإنسجام تأتي عبارة "ثقافة اللقاء" لتجد انعاكساً لها في عنوان المنتدى الإسلامي العالمي السادس عشر. فالله سبحانه وتعالى يدعونا في محكم تنزيله بقوله:

"ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً" (سورة البقرة، الآية 208).

لقد شهدنا وإياكم تفاقم الصراع العسكري في إقليم ناغورنو كاراباخ، حيث قتل الآلاف من الناس، وتم تدنيس أكثر من 70 معبداً مقدساً للإسلام والمسيحية. وفي الوقت الحاضر، وبفضل الجهود المشتركة، وبمشاركة مباشرة من الاتحاد الروسي تم التوصل إلى توقيع اتفاق سلام في المنطقة. مع ذلك، فإن الأضرار التي تسببت بها الحرب كبيرة ولا يمكن تجاوزها، والجراح العميقة لم تطال فقط الأجساد، بل طالت حتى النفوس والذكرى الجماعية للناس.

ولهذا السبب، وفي إطار منتدانا هذا، ينبغي إيلاء مسألة إدراك المفاهيم الأساسية لعصرنا مثل: حرية التعبير، وحرية الإعتقاد، واحترام مشاعر المؤمنين، والتسامح والتضامن اهتماماً خاصاً. ويجب ترجمة نتائج واستنتاجات حوارنا، من خلال تحويلها إلى مبادرات عامة وإنسانية ملموسة.

وأود أن أتطرق بشكل منفصل إلى موضوع ما يسمى بـ "إصلاح الإسلام"، والذي ينادي به الآن المسؤولون الأوروبيون المعروفون وممثلو بعض الجماعات الدينية، الذين دأبو على تقديم عملية إصلاح الإسلام المفترضة، على أنها نوع من العلاج الشافي، والذي سيسمح للإسلام "المتخلف" أن يصبح متناسباً مع الحقائق الجديدة، حيث تسود سيطرة مفاهيم حقوق وحرية الإنسان.

وفي الوقت نفسه، يمكن لهذا العنف الذي تهتز الأرض بسببه، أن يختبئ وراء أي أفكار جيدة، لكنه في الواقع لايمكنه أن يعكس أياً منها. وتعالو لكي نتذكر معاً الوضع المقلق الذي يعيشه شعبين مسلمين آخرين – الأويغور والروهينجا. وفي كتابي الذي صدر مؤخراً تحت عنوان "دعونا نحلم:

الطريق إلى مستقبل أفضل"، دعوت قداسة البابا فرانسيس إلى أن يولي هذا الموضوع الإهتمام اللازم. ومن هنا يتضح لنا أن الحديث عن "إصلاح الإسلام" الذي يسمح ممثلو بعض المؤسسة السياسية وممثلي الديانات الأخرى لأنفسهم الخوض فيه، لا جدوى منه على الإطلاق. فلقد أثرت ظواهر الأزمة في عصرنا الراهن على جميع التقاليد الدينية العالمية دون استثناء. وهنا لا يمكن أن يكون هناك فريق من "الجيدين" و"التقدميين" أمام فريق آخر من "السيئين" و"المتخلفين". وأي محاولة لعرض الموضوع بهذا الأسلوب، لن تكون أكثر من ديماغوجية عديمة المعنى.

ولعل جميع الأديان اليوم بحاجة إلى إصلاحات إيجابية تقوم على مبادىء الإحترام المتبادل، والحوار، والتضامن، والإنسانية. لقد كنا ندعو إلى ذلك في جميع فعالياتنا، واليوم نكرر دعوتنا هذه دون كلل أوملل – سيما في هذه الأيام حيث المحن الصعبة، عندما تكون وحدة البشرية قضية ملحة أكثر من أي وقت مضى.

إننا نشعربالسعادة التي تغمرنا اليوم، عندما نسمع أصوات التضامن تصدح من قبل أخوتنا – المسيحيين و اليهود والبوذيين وجميع أصحاب النوايا الحسنة. ونعتبر هذا فألاً حسناً، يشير إلى أن البشرية أدركت بأن الجائحة الوبائية هي إشارة ربانية، سوف تدفع الناس نحو الوحدة الحقيقية على أساس القيم المشتركة، وستؤدي بهم إلى فهم عميق لقدسية الحياة ولفهم الطبيعة الثانوية للخلافات القائمة، ودفعهم إلى الإلتقاء التاريخي، الذي سيصبح أساساً موثوقاً للثقافة العالمية.

كلمة ترحيبية في المنتدى

الكاردينال ميغيل أنخيل أيوسو جيكسوت،
رئيس المجلس البابوي للحوار بين الأديان،
رئيس لجنة العلاقات الدينية مع المسلمين (الفاتيكان)

في البداية أود أن أحيي جميع أعضاء الأمانة العامة للمنتدى الإسلامي العالمي، وأخص بالذكر هنا فضيلة الشيخ المفتي راوي عين الدين، رئيس الإدارة الدينية لمسلمي روسيا الاتحادية و الدكتور ضمير محيي الدين السكرتير المسؤول للمنتدى. كما أود أن أشكركم على دعوتنا للمشاركة في هذا المنتدى المخصص لمناقشة موضوعًا مهمًا يتعلق بالأخلاقيات الدينية الواجب علينا التحلي بها لمواجهة الجائحة. يسعدني أن أكون مشاركًا معكم في هذا الموضوع، حتى وإن كانت المشاركة عبر الإنترنت بسبب ظروف الجائحة الصعبة والحجر الصحي. قبل أيام قليلة قال البابا فرانسيس في رسالة أرسلها لقداسة القديس برثلماوس الأول "تقع على عاتق الكنائس المسيحية، إلى جانب الديانات التقليدية الأخرى، مهمة أساسية تكمن في تقديم مثالًا يقتدى به للحوار والاحترام المتبادل والتعاون العملي". (البابا فرانسيس، رسالة إلى قداسة القديس برثلماوس الأول بمناسبة عيد ميلاد القديس أندرو، 30 نوفمبر 2020). هذه ليست مجرد عبارات بل هي تعليمات عملية لأخلاقياتنا الدينية، التي نجدها في كل دين معني بصلاح الإنسانية وتحقيق المصلحة العامة.

في عام 2014، قدم البابا فرانسيس رؤية لـ "ثقافة اللقاء" باعتبارها رؤية "تطالب بأن نكون مستعدين ليس فقط للإلقاء، ولكن أيضًا للتلقي" (البابا فرانسيس، رسالة حول التواصل الاجتماعي، 2014) كوننا قادة دينيون نشارك في الحوار ونتشارك في الصداقة في ظل الأزمات العالمية، ليس فقط أزمة الجائحة ولكن في ظل العديد من الأزمات الأخرى التي تعاني منها أجزاء كبيرة من عالمنا اليوم. عرّف البابا فرانسيس ثقافة اللقاء في موضع أخر فقال: "تتيح ثقافة اللقاء سماع العديد من الأراء حول طاولة واحدة، من أجل الحوار والتمعن والمناقشة والوصول إلى مخرجات، من وجهات نظر متعددة تحمل أراء مختلفة وحلول متنوعة للمشاكل العالمية التي تخص شعوبنا وديمقراطياتنا" (البابا فرانسيس، رسالة مرئية عن الإقتصاد من وجهة نظر فرانسيس، 21 نوفمبر 2020). لقد استفدت شخصيًا من قوة لحظات التضامن التي عشتها مع العديد منكم ومع القادة الدينيين الآخرين في جميع أنحاء العالم، حينما حاولنا فحص الاستجابات اللازمة لإدخال الحس الديني في المواقف والصراعات الصعبة. لقد استخدمنا الصالح العام كأداة قياس للإيمان ولغرس الأمل في ثقافاتنا المختلفة وعائلاتنا الدينية. لكي نكون زعماء دينيون في بيئة الخوف والعزلة، التي أوجدتها الجائحة، نحتاج أن نكون "عدوى الأمل" التي هي أقوى من عدوى الفيروس التاجي COVID-19. كقادة دينيين، ندرك القوة الرئيسية التي ترتكز عليها حياتنا ومعتقداتنا. إنها الصلاة التي نصليها، كلمات الشكر والتوسل والحكمة والثناء على بعضنا البعض والتسليم لقوة الله التي تفوق قوتنا، فهي قوة الشفاء. حمل اللقاء الدولي الأخير للصلاة من أجل السلام عنوان "لا أحد ينجو بمفرده. السلام والأخوة ". نستطيع اليوم أن نقول أيضًا أنه لا أحد يشفى بمفرده، لا كفرد ولا كشريك عالمي. وبالتالي، فإن أخلاقياتنا الدينية في هذا الزمن العصيب، زمن جائحة COVID-19 تشمل حقيقة وجوب تضامن الجهود من أجل الشفاء ومن أجل الوصول إلى عالم ما بعد الجائحة الذي ربما سيكون خاليًا من الفيروس التاجي، إلا أنه سيكون مثقلًا بالضرر الاقتصادي والاجتماعي والثقافي. إن رسالتنا كقادة دينيين هي بالتأكيد رسالة تضامن تدعو لإعادة بناء عالم جديد سيبقى بعد انحسار الأزمة. يذكرنا البابا فرانسيس فيقول: "في ظل التحديات التي يفرضها الوباء الحالي، لا تزال الحرب تعصف بالعديد من دول العالم، حيث تظهر صراعات مسلحة جديدة تودي بحياة عدد لا يحصى من الرجال والنساء. بدون أدنى شك، جميع المبادرات التي تتخذها الهيئات الوطنية والدولية الهادفة إلى تعزيز السلام مفيدة وضرورية، إلا أن الصراع والعنف لن يتوقفا أبدًا حتى يتوصل الجميع إلى وعي وفهم عميق بأن لديهم مسؤولية مشتركة كأخوة وأخوات" (البابا فرانسيس، رسالة إلى قداسة القديس برثلماوس الأول بمناسبة عيد القديس أندرو، 30 نوفمبر 2020).

اسمحوا لي أن أختم برسالة الأمل هذه، رسالة أعرف أنكم تشاركونها كقادة دينيون. نحن ننتمي إلى أسرة بشرية واحدة، بالرغم من تلاشي الوعي بهذا الأمر. إن عالمنا اليوم الذي تسوده "اللامبالاة المعولمة"، التي تتجاهل "القيم الأخوية العظيمة"، يهوي إلى طريق "الإستياء وخيبة الأمل ... العزلة والتفكير بالمصالح الذاتية". دعونا بدلاً من ذلك، كقادة دينيون ينطلقون من

الكاردينال ميغيل أنخيل أيوسو جيكسوت

أخلاقهم الدينية" نعيد الأمل ونحقق التجديد. فيكون بديلنا هو التقارب وثقافة اللقاء. لا للعزلة، نعم للتقارب، لا للصدام الثقافي، نعم لثقافة اللقاء"(البابا فرانسيس، جميعنا إخوة، رقم 30).

دعونا ندعو الآخرين إلى هذا الأمل والتقارب لكوننا أسرة بشرية واحدة. وبالتالي، فنحن قادرون بالفعل على "تعزيز" ثقافة اللقاء "اللازمة لتجاوز الاختلافات والانقسامات التي غالبًا ما تقف في طريق تحقيق المثل العليا والأهداف السامية" لمعتقداتنا الدينية و"العمل يوميًا من أجل بناء عالم أكثر عدلاً وأخوةً وتوحدًا" (البابا فرانسيس، خطاب موجه للسفراء الجدد، 4 ديسمبر 2020).

شكرا على حسن استماعكم! ❁

دور الأخلاق الدينية في مواجهة الجائحة

أ.د. نظير محمد عياد،
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (القاهرة، مصر)

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه واهتدى بهداه، وبعد:

فباسم الأزهر الشريف تلكم المنارة التي يهتدي بنورها الباحثون عن الحق والداعون إليه والراغبون فيه.

أتوجه بالشكر والتقدير إلى من كانوا سببًا في إقامة هذا المنتدى وأخص بالذكر الأمانة العامة للمنتدى الإسلامي العالمي والإدارة الدينية لمسلمي روسيا.

السادة الأجلاء العلماء، السيدات والسادة،

يطيب لي أن أنقل إليكم تحياتِ فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف أ.د. أحمد الطيب ودعواته أن يكتب الله تعالى لهذه الجهود المباركة التوفيق والسداد، وأن يعود خيرها على البشرية جمعاء.

السادة العلماء أرحب بحضراتكم وأنقل إليكم ترحيب الأزهر الشريف بكل مؤسساته العلمية والدعوية وأودّ في البداية أن أؤكد على حاجة الإنسانية كلها إلى هذا المنتدى الذي جاء في وقته وحينه ليكشف لنا عن دور الأخلاق الدينية في عصر الوباء.

وجدير بي أن أثمن عنوان هذا المنتدى الذي جاء في حينه وموضعه وجاء معبرًا عن الواقع ومتجاوبًا مع الظروف والأحداث ومعبرًا عن الآلام والآمال.

وجدير بي أن أثمن كذلك رسالة هذا الملتقى البادية من خلال الهدف المنشود منه الذي يدور عن كيفية لقاء الإنسان بأخيه الإنسان وذلك من خلال البحث عن القيم الأخلاقية والمشتركات الإنسانية.

وغير خفيٍ أن هذا يسهم في دعم التماسك الاجتماعي المعاصر والمشاركة في عملية العمران والإسهام في الحضارة الإنسانية المعاصرة، وكل ذلك يتم من خلال الوقوف على معرفة الأبعاد الأخلاقية ومدى تأثرها بالجوائح والنوازل والأحداث وتأثيرها عليها.

وفي تقديري أن اختيار هذا العنوان جاء ليؤكد على ما يمكن أن تسهم به الأخلاق الدينية في إصلاح الواقع وعلاج أمراضه وتشخيص علله ووضع أدويته خصوصًا وأنه لا يخفى على أحد أن أحد أهم أسباب هذه الجائحة هو غياب الجانب الأخلاقي وتلاشي معالمه.

السادة الأعلام،

هذه كلمة موجزة عن الأخلاق الدينية في زمن الجوائح، حاولت من خلالها بيان عظمة هذه الشريعة ومرونتها، لارتكازها على أصلين عظيمين لا يبليان بدوران الأيام، ولا يتقادمان بتغاير المكان، وهما كتاب ربنا، وسنة نبينا هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إبراز المنهج الأخلاقي الإسلامي، وما يمكن أن يقوم به هذا المنهج في زمن الأوبئة وأوقات الجوائح خصوصًا والجائحة شدة يدوم أثرها أكثر منها وتنعطف بالبشرية إلى مرحلة جديدة بقيم جديدة ومفاهيم جديدة تتزامن مع صعود قوى جديدة واختفاء قوى أخرى.

فما كادت جائحة كورونا تلقي بظلالها على المجتمع الدولي إلا وتباينت ردود الأفعال وتعددت المعالجات الفكرية والرؤى الأيدلوجية تجاه هذا الفيروس القاتل الذي ملأ العالم رعبًا وفزعًا.

وبدأت تطغى على العالم مجموعة القيم المتضاربة التي نتج عنها اختلال الموازين وتعارض المصالح وتغير في الأوضاع والعلاقات، كذلك كشفت جائحة كورونا ذئبية الإنسان تجاه أخيه الإنسن.

فما أن ظهر هذا الفيروس حتى تناثرت الأخبار بأن هناك تدخلًا بشريًا لتصنيعه والعمل على إيجاده من خلال الإنسان الذي صنع هذا الفيروس داخل معامله وبين أسوار مختبراته بغية سطو الإنسان على أخيه الإنسان إما لسرقة أمواله واستخدامه كسلاح بيولوجي لفتك الإنسان بأخيه الإنسان أو استعماله كسلاح نفسي لبث الأكاذيب ونشر الشائعات بغية تحكم الإنسان في أخيه الإنسان، بل والأعجب من ذلك أننا وجدنا من يرى أن هذا الفيروس كان مقصده سياسيًا بغية المحافظة على مكانة دول بعينها من حيث القوة والنفوذ والسيطرة والانتشار وبقاء دول بعينها على ما هي عليه من حال الفقر والجهل والمرض والتدهور والضياع.

بل الأعجب من ذلك أن هذا الفيروس كشف عن تخل دول ومنظمات ومؤسسات دولية عن مسؤوليتها تجاه غيرها بدوافع المصلحة تارة والكره والصراع تارة أخرى الغيرة والأنانية تارة ثالثة وهذا لا شك ينبئ عن واقع مرير ومستقبل أشد مرارة، وفي وسط كل هذه الغيوم حاول الإنسان أن

أ.د. نظير محمد عياد،
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (القاهرة، مصر)

يتعاون مع أخيه الإنسان بحثًا عن سبيل للعلاج ومخرجًا من الآلام الأمر الذي يجعلنا نقول بأن فيروس كورونا على الرغم مما أحدثه في العالم إلا أنه في نفس الوقت يمكن أن يقال عنه بأنه قد جاء لرأب الصدع الإنساني الذي نتج عن الصراعات القومية والدوافع العنصرية والاتجاهات الشعوبية مؤكدًا على المصير الإنساني المشترك.

وليفضح أخلاقه الأنانية الموسومة بالعار، كما يكشف زيف الاختلافات الواضحة والطائفية والدينية، وليتأكد للجميع على ضرورة التخلي عن كل هذه الأمور لأن المصير الإنساني واحد، وأن كل ما يقال عن النزاعات والاختلافات ما هو إلا جدل لا يراد منه إلا القضاء على الإنسان بيد أخيه الإنسان.

ومن هنا تأتي الرسالة الأخلاقية التي أوجدها هذا الفيروس وبعث بها إلى العالم بضرورة التمسك بمزيد من القيم الأخلاقية التي تجعل من الحوار بابًا لحل الخلافات، والقضاء على النزاعات والعمل على مستقبل أفضل وغد مشرق.

وفي وسط هذه الأمور تتجلى عظمة المنهج الأخلاقي الإسلامي الذي يظهره في مثل هذه الأمور من خلال تأكيده على المسؤولية الملقاة على كل أطراف العالم (الدول – الأفراد – الجماعات) كل في فلكه وفي إطاره المنوط وبدون ذلك يعد الأمر تخليًا عن المسؤولية وفرارًا من الواجب، الأمر الذي يوقع في الحرج الشرعي والواجب الأخلاقي، والمسؤولية الإنسانية.

ولقد لخص الأزهر الشريف بقطاعاته المختلفة هذا الأمر من خلال بيانات وإصدارات مجمع البحوث الإسلامية، من خلال إصداراته وبياناته التي كشف فيها على أنه ينبغي احترام الموتى وتطبيق أحكام الشريعة على الموتى بسبب هذا المرض كغيرهم مع الالتزام بالإجراءات المحددة من قبل المختصين.

والمركز العالمي للرصد والفتوى الإلكترونية من خلال كتابه الجامع: الدليل الشرعي للتعامل مع فيروس كورونا المستجد الذي لخص فيه الحدود والضوابط والمسؤوليات الأخلاقية والواجبات الشرعية، وأخيرًا هيئة كبار العلماء التي لخصت هذه الجهود في بيانها الذي اشتمل على عدة نقاط منها:

بيان حُكم الشَّرع في اجتماع الناس في هذه الظروف.

بيان حُكم نشر الشائعات أو المعلومات دون الاستيثاق منها وخصوصًا في زمن الأوبئة: نشر الشائعات والترويج لها أمر مذموم في الشريعة الإسلامية؛ لأنه عمل غير أخلاقي.

بيان حكم احتكار السلع واستغلال حاجة الناس وقت الوباء والكوارث: الاحتكار هو الامتناع عن بيع سلعة أو منفعة حتى يرتفع سعرها ارتفاعًا غير مُعتاد، مع شدَّة حاجة الناس أو الدولة إليها. والاحتكار محرم شرعًا.

بيان الحكم الشرعي للحجر الصحي وخصوصا في زمن الوباء.

بيان حكم مخالفة قرار ولي الأمر والجهات المسؤولة الصادرة في آلية التعامل مع الأوبئة والجوائح إمعانًا في مراعاة الفقراء والمحتاجين بشكل عام وفي زمن الأوبئة بشكل خاص كشف البيان عن جواز تعجيل الزكاة قبل موعد وجوبها.

وهذه الأمور وغيرها جاءت انطلاقًا من الشريعة الإسلامية ومبادئها والتي دعت إلى مراعاة هذه الأمور وأكدت عليها خصوصًا في زمن الأوبئة فقد واجهت البشرية على مر العصور أوبئة وطواعين أزهقت الكثير من الأرواح مثل طاعون عمواس 17 أو 18 هـ الذي أزهق الكثير من كبار الصحابة، والطاعون الكبير سنة 749 هـ ، 1348 م الذي عرف باسم الموت الأسود، وقد تعاملت النظم والتشريعات معه إلا إن تعامل الإسلام مع هذه الأوبئة كان مختلف، ذلك أن فلسفة الإسلام في التعامل مع الأمراض والأوبئة تقوم على أسس متعددة عقدية وشرعية وعرفية وأخلاقية، وقد سبقت هذه الفلسفة في تطبيق النشرة الوقائية والعلاجية كل الفلسفات والنظم، ففي الوقت الذي كان يرى البعض أو يعتقد بأن هذه الأوبئة تحدث لتدخل قوى شريرة أو أرواح شريرة، جاء الإسلام داعيًا إلى صدق اللجوء إلى الله والأخذ بالأسباب الدنيوية المشروعة، والالتزام بالجوانب الأخلاقية، واحترام القيم الإنسانية، وذلك من خلال ما يلي:

1- أرشد إلى طلب الدواء واستفراغ الوسع، حيث الأخذ بالأسباب ففي الحديث عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ، قَالَ: قَالَتِ الأَعْرَابُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَتَدَاوَى؟ قَالَ: «**نَعَمْ، يَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ**

لَهُ شِفَاءً، أَوْ قَالَ: دَوَاءً إِلَّا دَاءً وَاحِدًا «قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُوَ؟ قَالَ: «الْهَرَمُ».[1]

2- التحلي بكافة القيم المتعلقة من صبر وتكافل وتراحم، قال تعالى: «**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**»[2].

3- التأكيد على أن ما يجري في العالم يكون بعد رحمته ثم ينبغي اللجوء إلى الله، فعن عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعوذ بعض أهله، يمسح بيده اليمنى ويقول: «**اللهم رب الناس أذهب الباس، اشفه وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما**»[3].

4- الأخذ بالتدابير الوقائية ضد انتشار العدوى، فقال صلى الله عليه وسلم: «**لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ**»[4].

5- الالتزام بالنظافة، فقال صلى الله عليه وسلم: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ**»[5].

6- تغطية الأنف عند السعال فقد كان ذلك من هديه صلى الله عليه وسلم.

7- تجنب البصق في أماكن جلوس ومرور الناس، فقد جعلها صلى الله عليه وسلم خطيئة وكفارتها دفنها.

8- الحجر الصحي باعتبار أن حفظ النفس من أهم مقاصد الدين، وقد جعل الله الاعتداء على النفس من أكبر الكبائر بعد الشرك، وقد جعل الإسلام هذا الحجر واجبًا عملا بالقاعدة الفقهية (لا ضرر ولا ضرار)، وكذا الضرر يزال.

وقد حقق صلى الله عليه وسلم ذلك عندما منع الناس من الوصول إلى البلدة المصابة بالطاعون، وجعل من يخالف ذلك كالفار من الجهاد في سبيل الله، وجعل للصابر على البقاء مثل أجر الشهيد.

9- الإشادة بدور الأطباء في مواجهة الوباء، قال صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**»[6].

10- تحلي الطبيب بكل القيم الأخلاقية من صدق وأمانة ورحمة وتعاون.

11- الأخذ بالأسباب مع التوكل على الله.

السادة الأعلام،

هذا غيض من فيض وقليل من كثير، يكشف لنا عن الدور الأخلاقي في زمن الأوبئة، ويظهر جانبًا من عظمة الإسلام وأخلاقه من خلال التعامل الأمثل في زمن الأوبئة.

[1] جامع الترمذي (383/4) رقم 2038.

[2] المائدة: 2.

[3] صحيح البخاري (132/7) رقم 5743.

[4] متفق عليه.

[5] صحيح مسلم (203/1) رقم 223.

[6] سنن أبي داود (128/2) رقم 1672.

التنشئة الإجتماعية وبناء جيل مسالم

د. أنور غيتسيتش،
عميد كلية الدراسات الإسلامية في نوفي بازار (صربيا)

بالرغم من اختلاف الآراء والتفسيرات حول غاية الأديان وغاية الحضارة الإنسانية إلا أن أغلب المفكرين والعلماء يتفقون على أن بناء الإنسان السوي الصالح الذي يعمر الأرض هو أحد أهم أهداف الأديان وأحد غايات الحضارة الإنسانية. فالأديان تحمل منظومات أخلاقية تهذب النفس البشرية وترسم ملامح أساليب التعامل بين الإنسان وأخيه الإنسان كما تحدد ملامح علاقة الإنسان بما حوله من مخلوقات وكذلك علاقة الإنسان بخالقه. وبغض النظر عن الإختلافات حول الغائية والسببية بين الأديان والفلسفات والأيديولوجيات الفكرية، إلا أنهم يتفقون على أن إنتاج إنسان صالح وإنتاج جيل سليم ومسالم في المجتمع هدف سامي لمن يحرص على مجتمعه ومستقبله ويرجو الخير لنفسه ولأولاده.

ونلاحظ في العقود الأخيرة أن المجتمعات الإسلامية بدأت تعاني من تفشي ظاهرة العنف كسلوك اجتماعي بين أبناء المجتمع كوسيلة للتعبير عن موقف أو حالة اجتماعية أو عاطفية أو سياسية. هذا السلوك العنيف أصبح يهدد أمن المجتمعات الإسلامية وأصبح عائقاً أمام استقرارها وتطورها، فالمجتمع الخائف القلق تتراجع مقدرته على الإهتمام بالبرامج التعليمية والصحية وبرامج تطوير المجتمع. والمجتمع الذي ينتشر فيه العنف يصبح مجتمعاً سهل التفكك والإنحلال وسهل الإختراق من الأعداء والمغرضين. ولذا فإن إنتاج جيل صحيح وسليم فكرياً وأخلاقياً وثقافياً من الأولويات التي يجب على جميع قادة المجتمعات الإسلامية ومفكريها وعلمائها ومؤسساتها الفكرية إيلاؤها الإهتمام الأقصى لما تحمله من تأثير على مستقبل الأمة.

إن العنف سلوك شاذ ترفضه المجتمعات الإنسانية عموماً ولذلك حاول أعداء الإسلام ربط العنف بالإسلام في محاولة لتشكيل وعي وإدراك مشوه حول الإسلام وعملوا على وضع مصطلحات وتعابير كالإرهاب الإسلامي وربط مفهوم الجهاد بالعنف والعدوان على الآخرين وغيرها من التعابير والصور المرسومة عن المسلمين والإسلام تتراكم في عقل الإنسان لترسم شكلاً نمطياً سلبياً للمسلم وللإسلام.

رافق العنف تطور الحياة الإنسانية، وأخذ أشكالاً عديدة بدءً من العنف الفردي، كعنف قابيل الذي كانت تحركه إنفعالات داخلية فردية من حسد وطمع وكراهية وغيرها من المشاعر السلبية فقادته إلى العنف فكانت الجريمة الأولى. ولازم العنف الحياة البشرية، ملازمة الخير والشر لها. وكان وسيلة لاكتساب منافع غير مشروعة من خلال تصرفات وأعمال إجرامية كالقتل العمد والسرقة وغيرها. وكان "وسيلة" لممارسة السياسة من خلال الحروب، ومقاومة الاحتلال والمحتلين، وقيام الثورات الاجتماعية والسياسية الموجهة ضد حكم طبقة مستغلة أو طاغية مستبد. والكثير من أشكال العنف التي ذكرتها هي شكل من ردود الأفعال على عنف آخر، ظاهر أو مستتر.

وبشكل عام عرّف علماء النفس والاجتماع استخدام العنف على أنه إضطراب سلوكي ذو خلفية مرضية ترجع إلى عوامل عديدة منها الوراثية والإنفعالية والإضطرابية والإجتماعية والتربوية، فالوراثية والغريزية تتمثل بدوافع الإنسان في البقاء والتملك والسطوة، والإنفعالية تتمثل بالخوف الدفين في أعماق الشخص العنيف والكبت والغضب والشعور بالخجل والدونية والإحباط والإحتقار والإهانة، والإضطرابية تتمثل باضطرابات شخصية وسلوكية ونفسية وعقلية، والإجتماعية تتمثل بدور القيم والعقائد والمثل والعادات والتقاليد وطبيعة العلاقات الإجتماعية.

لذلك من أجل إنتاج جيل مسالم يستطيع أن يعبر عن نفسه وحاجاته دون اللجوء إلى العنف، فإنه من الضروري تطوير مفاهيم التنشئة الإجتماعية في المجتمعات الإسلامية.

التنشئة الإجتماعية

التنشئة الإجتماعية تبدأ مع الإنسان منذ ولادته وبدء تلقيه للمعلومات من المحيط من حوله. وأقصد هنا كل ما من شأنه التأثير على الطفل خلال نموه بما يساهم في تشكيل شخصيته وتحديد طرق تفكيره وسلوكه وتعامله مع الآخرين. أي تحويله إلى فرد اجتماعي قادر على التواصل والتعامل مع المجتمع.

وتبدأ التنشئة بتلقين الطفل تسمية الأشياء إلى تعليمه العادات والتقاليد والعرف السائد إلى بناء المنظومة الفكرية والأخلاقية، فهي بهذا تضمن تأثير

الأسرة الصغيرة والأسرة الكبيرة والمجتمع المحيط في الحي والمدينة، وتأثير المدرسة كمناهج ومربين وتأثير الإعلام المرأي والمكتوب وتأثير المسجد، وتأثير نوع المطبوعات التي تصل إلى يديه وغيرها من المؤثرات التي تتكامل جميعها لتشكل المعايير والقيم والقوانين الإجتماعية لهذا الفرد والتي سيتعامل بها مع الآخرين وستحدد علاقته بالآخرين. وعندما نتحدث عن الفرد نتحدث عن المجتمع عموماً.

إن أول مراحل العلاج للمرض البدني أو الإجتماعي هو الإعتراف بالمرض، ومن ثم إرادة العلاج ومن بعدها تبدأ مراحل العلاج الأخرى. فعلينا أن نعترف أولاً بهذا المرض الذي أصاب مجتمعاتنا الإسلامية وهو العنف ورفض الآخر والنظر بعدائية للعديد من منتجات الحضارة الإنسانية واللجوء إلى العنف عند الفشل في تحقيق الرغبات السياسية أو الاجتماعية.

أما إرادة العلاج فأقصد بها أن يهتم سائر المؤثرين في المجتمع من قيادة سياسية واجتماعية ودينية وفكرية ومؤسسات تعليمية وإعلامية وثقافية في تبني سياسة العلاج والتنسيق بينهم لتكون برامجهم مكملة لبعضها البعض، والوصول لبناء جيل سليم قادر على بناء علاقات اجتماعية سليمة وبناء مجتمع سليم قادر على التواصل بين أفراده ينبذ العنف ويستطيع التعامل والتواصل بشكل جيد مع المجتمعات الأخرى.

أسباب العنف في المجتمعات الإسلامية

إذا انتشر العنف في المجتمع يصبح حالة إجتماعية وليس سلوكاً شخصياً، وأسبابه اجتماعية وتربوية بالدرجة الأولى. وللعنف أشكال متعددة، فضمن الأسرة هناك العنف ضد الأطفال والعنف ضد الزوجة، وفي الحي العنف ضد الأولاد الآخرين، والعنف ضد الحيوان، وفي المدرسة العنف من قبل المربي ضد الطلاب، وعنف الطلاب في علاقاتهم ببعض، وفي العمل العنف الممارس من الرئيس على المرؤوس والعنف الممارس من قبل التيارات الفكرية والسياسية ضد بعضها ... إلخ.

العنف الممارس في المجتمعات الإسلامية له أسباب إجتماعية وأسباب إيديولوجية وأسباب نفسية، وأسباب سياسية. فسياسياً عانت المجتمعات الإسلامية خلال عصور طويلة من ضعف سياسي أدى لتسلط أعدائهم عليهم وتمزق بلادهم واستعمارهم واضطهادهم، فعاش الناس في خوف وقلق وهذا أثر على شخصيتهم وعلاقتهم بالآخر. والأسباب الإجتماعية نشأت بسبب ضعف التعليم وانتشار الجهل الذي سهل ظهور العديد من التقاليد الإجتماعية التي لا تتفق مع القيم الإسلامية وساهم في فساد العلاقات الإجتماعية بين طبقات المجتمع، كالعلاقة بين الأغنياء والفقراء وفقدان الثقة في العلاقة بين الطبقة الحاكمة وطبقة الشعب، وعادات تظهر بسبب الإنغلاق الإجتماعي والجهل.

والأسباب النفسية في المجتمعات الإسلامية أغلبها يعود إلى الإحباط الذي تعاني منه الأجيال الشابة والذي يدفع بعضها لاتخاذ العنف كرد إنفعالي شعوري أمام انسداد الأفق وفشل المشاريع السياسية والإجتماعية خلال العقود الأخيرة. والأسباب الإيديولوجية هي ما لحق بالفكر الإسلامي من تشويه عبر التاريخ وصولاً إلى الحاضر. هذا التشويه المقصود وغير المقصود يبرر العنف ويصور العدوان على الآخرين جهاداً أو ممارسة لحق من الحقوق. هذا الفكر المشوه يظهر الدين الإسلامي بأنه دين يكره الجميع ويعادي الجميع ويظهر بأن رجاله عينوا أنفسهم قضاة على البشرية، فيوزعون الناس بين الجنة والنار ويبيحون العدوان عليهم تبعاً لمدى مخالفتهم لأفكارهم. هذه التيارات الفكرية كانت موجودة في المجتمعات الإسلامية قديماً، إلا أنها الآن تحظى بانتشار أوسع من السابق.

يعتبر ضعف التقنين سببًا أساسيًا لتفشي العنف في المجتمعات الإسلامية، فالقوانين الإجتماعية غالباً لا تجرم العنف الأسري أو المدرسي أو الإداري أو غيره من أنواع العنف الإجتماعي، وكذلك القوانين الجزائية غالباً ضعيفة وعاجزة عن حماية أفراد المجتمع وخطر تعرضهم للعنف الجسدي والنفسي. ففي المنزل يمارس الأهل العنف على الأطفال دون رادع جزائي وكذلك الزوج ضد زوجته والمدرس على طلابه وهكذا دواليك. فالقانون في أغلب المجتمعات الإسلامية ضعيف في حماية الجيل الجديد من العنف ولا توجد المؤسسات الكافية للرعاية الإجتماعية والإهتمام بحقوق الأطفال وحقوق النساء وحمايتهم من أنواع العنف.

هذه الأسباب مجتمعة بالإضافة إلى أسباب تاريخية أخرى جعلت من المجتمعات الإسلامية مجتمعات مضطربة تعاني العديد من المشاكل ومنها مشكلة العنف، فكان لزاماً للتخلص من هذه الأمراض والعيوب استنفار طاقات المجتمع لبناء جيل سليم معافى جسدياً ونفسياً وقيمياً واجتماعياً عبر برنامج للتنشئة الإجتماعية تشارك فيه جميع فعاليات المجتمع ضمن تنسيق وخطط مدروسة لتعطي أفضل النتائج.

الأديان السماوية والعنف

الأديان السماوية نزلت لخير البشرية والحفاظ على النفس الإنسانية ووضع منظومات أخلاقية تحكم سلوك الإنسان وتحدد علاقته بالآخرين. والإسلام خاتم الأديان السماوية جاء لخير البشرية جمعاء، دين الرحمة والتسامح والتعاضد. وحين يراد الإساءة للإسلام يتهم الإسلام بأنه يحرض على العنف وحين يقتبس الباحثون من التاريخ ما يدل على عنف الإسلام فإنهم يختارون حروباً سياسية لا علاقة لها بالدين. فلا يجوز لنا مثلاً كمسلمين أن نتهم الدين المسيحي بالعنف أو نبي الرحمة عيسى عليه السلام بالعنف، حين نقتبس من التاريخ الصراعات الدينية في أوروبا والتي ذهب ضحيتها الملايين باسم الدين المسيحي، أو الحروب الصليبية وغيرها من الصراعات التي استخدمت الدين كغطاء، وكذلك الأمر بالنسبة للأديان الأخرى.

إن الأديان جائت لتدحض العنف وتقوم السلوك الإنساني المريض، وتؤكد السلوك الإنساني السليم الذي يتوافق مع الفطرة الإنسانية التي ميزت

الإنسان عن بقية المخلوقات وجعلته محل التكليف. والإسلام جاء لفرض منظومة أخلاقية سمحة تحقق أعلى مستوى من العلاقات الإنسانية بما فيه الخير والنفع للبشرية جمعاء. قال تعالى: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**»[1]. وقال تعالى: «**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**»[2]. وقال تعالى: «**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**»[3].

وقال الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**»[4]. وقال: «**لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم**»[5]. وقال: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**» [6]. وقال أيضاً: «**أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً**»[7]. وقال عليه الصلاة والسلام: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضا، وشبك بين أصابعه**»[8]. إلى العديد من الشواهد التي تؤكد سماحة الدين وأنه دين يقوم السلوك الإنساني ويفرض منظومة أخلاقية رفيعة فيها خير الناس جميعاً والأدلة أكثر من أن نحصرها في هذا المقال. والفقه الإسلامي المستمد من النصوص الشرعية الثابتة يؤكد أن الشريعة بل الشرائع السماوية جميعاً جاءت لحفظ الضروريات الخمس، وهي: حفظ الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال، واعتبر التعدي عليها جناية وجريمة تستلزم عقاباً مناسباً، وبحفظ هذه الضروريات يطمئن الناس وتطمئن المجتمعات الإنسانية.

إن هذه الضروريات الخمس انتهكت واعتدي عليها في العديد من المجتمعات والبلدان الإسلامية في محاولة لفرض رؤى فكرية أو سياسية أو دينية أو مذهبية، فعاشت هذه المجتمعات تحت وطأة الخوف والقلق وتدنى الإهتمام ببرامج الحياة أو تحت وطأة التهديد بالعنف والموت فتراجعت البرامج الإجتماعية والتربوية وبرامج التنمية في كثير من المجتمعات الإسلامية.

التوصيات: «برامج التنشئة الإجتماعية»

للخروج من دائرة العنف والجهل والإنعزال ورفض الآخر لا بد من برامج للتنشئة الإجتماعية تتضافر كافة هيئات المجتمع المدني لإنجازها مدعومة من القيادات السياسية والفكرية والدينية في المجتمعات الإسلامية والتي تعنى بتنشئة الإنسان تنشئة صحيحة منذ نعومة أظافره إلى أن يشب ويكون عضواً فاعلاً في المجتمع. والتنشئة الصحيحة تستدعي أن نبني الإنسان بناءاً نفسياً سليماً بعيداً عن الخوف والتبعية والرهبة، وبناءاً فكرياً سليماً بعيداً عن الإقصائية والعنف والتطرف، وثقافياً وعلمياً قادراً على التعلم ومعرفة مكانه وما يحيط به في هذا العالم، واجتماعياً قادراً على التواصل مع أفراد مجتمعه بشكل سليم، ومع المجتمعات الأخرى بشكل صحيح ... إلخ.

— يبدأ الطفل بوعي ما حوله في الأعوام الأولى من عمره فعلى المؤسسات الإجتماعية والثقافية أن تدل الوالدين على الطرق الأفضل في التعامل مع الأطفال وتعليمهم. فالأسرة هي الصانع الأول لهذا الفرد الجديد في المجتمع وبتأهيل الأسرة ومساعدتها تساهم في بناء فرد سليم.

- بما أن وسائل الإعلام والمشاهدة البصرية أصبحت تشغل حيزاً كبيراً في التأثير على الأطفال وتساهم في بناء تفكيرهم، فعلى المؤسسات الإعلامية والتي تقدم برامج الأطفال أن تخضع لفحص الخبراء في التنشئة الإجتماعية ومراقبة ما يقدم للأطفال في البرامج التلفزيونية وتأثيرها على الطفل. وعلى المؤسسات الإعلامية تقديم برامج توعوية اجتماعية تتناول شرائح متعددة من المجتمع.

- على المؤسسات الإعلامية تقديم برامج للأطفال تتضمن تعليمهم السلوك السليم من خلال برامج وأساليب محببة للأطفال، كمثال: كيف يعبر الشارع، كيف يحافظ على النظافة، كيف يتعامل مع رفاقه في المدرسة ... إلخ.

- الإهتمام بالعملية التعليمية ويشمل: الإهتمام بتجهيز المؤسسات التعليمية بالإدارات المؤهلة والكادر التعليمي المؤهل، وثانياً الإهتمام بالمناهج الدراسية ورقابتها.

- الإهتمام بالكادر التعليمي أمر مهم جداً فالمعلم هو الذي يؤثر على الطالب في مرحلة بناء شخصيته وأسلوب تفكيره ويوجهه بشكل مباشر أو غير مباشر نحو الفكر السليم أو الشاذ ويتم تأهيل المدرسين ومراقبة نشاطهم عبر برامج التعليم المستدام على سبيل المثال، حيث يخضع المدرس إلى دورات تثقيفية وتعليمية بشكل دوري وإلزامي يتابع فيها آخر علوم التربية وتطورها وأساليبها. والكادر التعليمي يشمل الإدارة التي لها دور أساسي في العملية التعليمية من جهة العمل الإداري أو الرقابي أو المشاركة الإجتماعية أو من جهة الدعم النفسي.

- المناهج التعليمية وأساليبها لا تقل أهمية عن الكادر التعليمي، والإهتمام بالمناهج هو الإهتمام بالأسلوب العلمي للوصول إلى عقل الطالب وترسيخ المعلومات بأسهل الطرق، وثانياً الإهتمام بالمحتوى العلمي، فلا يمكننا إنتاج

---

[1] سورة الحجرات، الآية 13.

[2] سورة الأنبياء، الآية 107.

[3] سورة النحل، الآية 125.

[4] صحيح البخاري، رقم 10.

[5] أخرجه أحمد 23536، و البيهقي في الشعب، برقم 5137.

[6] صحيح مسلم، رقم 4691.

[7] أخرجه أحمد، برقم 10829، وابن أبي شيبة برقم 25321–30371، والدارمي، برقم 2834.

[8] صحيح البخاري، رقم 5680.

الدكتور أنور غيتسيتش،
عميد كلية الدراسات الإسلامية في نوفي بازار

جيل مسالم بعيد عن العنف وقد تشرب هذا الجيل العنف من خلال مناهج تبيح العنف وتبرره وتبرر العدوان على الناس من خلال العبث بالتسميات والمصطلحات، وهذه النصوص تملأ الكتب المدرسية والتي يشجع بعضها على العنف بشكل مباشر وبعضها بشكل غير مباشر. فلا بد أن تخضع المناهج التعليمية إلى رقابة خبراء تشرف عليهم الجهات الرسمية في المجتمع لرقابة المحتوى العلمي والفكري في هذه المناهج.

- الإهتمام بالمطبوعات والمنشورات، حيث سادت فوضى كبيرة خلال العقدين الماضيين في الطباعة والنشر وخصوصاً النشر الإلكتروني أي عبر شبكة الإنترنت والتي أصبحت مصدراً للمعلومات والثقافة لنسبة كبيرة من هذا الجيل. فعلى الجهات الرسمية والجهات القادرة أن تنشيء إعلاماً ونشراً يتوافق مع القيم الإسلامية والقيم الإنسانية العليا التي تحفظ النفس البشرية وتدفعها للتعارف والتعاون، وتوضيح أخطار المطبوعات والمنشورات التي تمثل فكراً شاذاً يعادي المجتمع ويعادي الإنسانية، وأخطار الكتب التي تحتوي على أفكاراً هدامة ومسمومة.

- الإهتمام بالمؤسسة الدينية والدعوية والإهتمام بأئمة المساجد والدعاة.

لقد لاحظنا خلال العقدين الماضيين فوضى كبيرة وخطيرة في هذا الجانب. فالمسجد هو المؤسسة التي تشارك البيت في بناء الإنسان الفكري ولذلك من الضروري أن نهتم بتأهيل الأئمة تأهيلاً صحيحاً وتثقيفهم تثقيفاً جيداً كي يكونوا دعاة للخير والسلام ولكي يساهموا في تقويم سلوك الفرد بدل أن يقودوه في متاهات وثنايا الصراعات الفكرية والسياسية والمذهبية ويحرضوه على العنف تحت مسميات دينية، وبذلك يكونون دعاة للهدم والتخريب بدل أن يكونوا دعاة للبناء والخير والسلام.

والأمر الآخر الذي شهدناه هو الفوضى التي سادت الدعوة الدينية من خلال وسائل الإعلام المرئية حيث تتمكن جهة لها وجهة نظر ما أن تنشيء قناة تلفزيونية تطرح فيها أفكاراً شاذة وأفكاراً متطرفة دون رقابة المؤسسات الدينية الرسمية. فعلى المؤسسات الرسمية والمجامع الفقهية أن توحد جهودها لمنع هذه الفوضى التي تسمح لأي كان أن ينشر الأفكار الهدامة ويؤثر على جيل الشباب فيحرف تفكيره ويقود نسبة منهم إلى الصدام مع المجتمع وإلى هدم القيم الإسلامية والقيم الإجتماعية والإنسانية وغالباً تحت مسميات إسلامية.

وعلى المؤسسات الدينية توعية الناس وتوعية هذا الجيل من مخاطر هذه الأفكار المسمومة التي تقود للعنف وأحياناً إلى تدمير المجتمع، وهذا يتم عبر ثلاثة طرق، طريق الرقابة على النشاطات الهدامة ومحاولة منعها، والطريق الثاني هو عبر كشفها وتوعية الناس من مخاطرها، والطريق الثالث هو محاولة وضع قوانين واضحة وصريحة لكل من يريد أن يتواصل مع الجماهير ويبث فيهم دعوة أو فكراً عن طريق الإعلام بأن يخضع لقوانين تحمي المجتمع وتمنع الفساد، ولا تسمح لأي كان أن يذيع ما يسيء للمجتمع وينشر التطرف والفكر الشاذ.

- ترسيخ القيم الإنسانية العليا وغرس قيم قبول الآخر واستخدام اللغة والحوار وسيلة للوصول إلى المشتركات الفكرية بين أفراد المجتمع الواحد ومع المجتمعات الأخرى. وترسيخ مفاهيم أن الفرد في المجتمع الإسلامي هو ليس نقيض للفرد في المجتمعات الأخرى بل هو جزء وعضو في الحضارة الإنسانية عموماً وعليه أن يشارك في بناء هذه الحضارة الإنسانية، بدل أن يبقى دائماً على جانب هذه الحضارة منتقداً أو معادياً أو منقاداً أو مذهولاً.

وعلى المؤسسات التعليمية والثقافية أن تلعب دوراً في هذا الأمر من خلال بث روح الثقة بالنفس والمساهمة في زرع وتطوير أساليب التواصل الإنساني.

الحوار بين الثقافات في مكافحة العنف والتطرف

عقيل شيرينوف،
مدير معهد اللاهوت في أذربيجان،
دكتور في علم الإلهيات (باكو، أذربيجان)

أهمية الحوار بين الثقافات

مع بداية عصر العولمة، دخل عالمنا مرحلة جديدة من التقدم التكنولوجي. وكنتيجة لهذا التقدم، نحتاج اليوم للقليل من الوقت من أجل الحصول على المعلومات التي نريدها، رغم أن هذا الأمر كان يستغرق عدة أيام، أو حتى بضعة أشهر. بفضل هذا التطور، أصبح العالم «قرية عالمية[1]». وإذا كان الحصول على المعلومات فيما سبق بمثابة مشكلة، فإن المشكلة اليوم تتمثل في وفرة هذه المعلومات. أحدث التطور التكنولوجي أيضًا تغييرات ثقافية، وبدأ الأشخاص الذين ينتمون إلى خلفيات وطنية ودينية مختلفة في التعرف على بعضهم البعض بشكل أفضل. لا شك في أن الهجرة الجماعية التي بدأت في النصف الثاني من القرن العشرين ساهمت بشكل كبير في هذا الأمر.

لقد تم استبدال المفهوم السابق «الثقافة الأحادية» بمفهوم «التعددية الثقافية». فأصبح خروج الثقافات من «غيتو[2]» ضرورة ملحة.

وإن لم يتم ذلك، فسيكتسب أصحاب تلك الثقافات طابعًا مغلقًا، وسينشأ في تلك الثقافات خطر التأخر عن التطور الحضاري. بالنظر في التاريخ، نرى بأن الثقافات العظيمة هي تلك الثقافات التي لا تتخذ موقفًا مغلقًا (منحصرًا) بل تتخذ موقفًا منفتحًا بعلاقاتها مع الثقافات الأخرى. ساهمت جميع ثقافات العالم في التطور الثقافي العالمي، ليس فقط باستخدام إنجازاتهم الخاصة، ولكن أيضًا باستخدام إنجازات الثقافات الأخرى. على سبيل المثال، استخدمت روما القديمة إنجازات الثقافة اليونانية، أما الثقافة الأوروبية في القرون الوسطى فقد استخدمت انجازات الثقافة الإغريقية الرومانية والإسلامية. بفضل هذا، تحولت تلك الثقافات إلى ثقافات عالمية. الثقافة الإسلامية، في المقابل، كان لها موقفًا مشابهًا مع الثقافات اليونانية والإيرانية والهندية وغيرها. وبفضل هذا، تم ضمان التطور العلمي والثقافي العالمي بشكل عام. كل هذا يدل على أنه لا يمكن لأي ثقافة أن تتطور من تلقاء نفسها. الثقافات العظيمة هي تلك الثقافات التي تمكنت من الخروج من إطارات معاييرها.

جوهر الحوار بين الثقافات

على الرغم من أن الحوار بين الثقافات هو أحد أقدم طرق الحوار، إلا أن استخدام هذا المصطلح في المراجع العلمية، بدأ في الأونة الأخيرة وانتشر استخدامه في النصف الثاني من القرن العشرين. ونظرًا لأن المجموعات التي لا تؤمن بإمكانية الحوار بين الثقافات المختلفة أو تعارضه، تسيء تفسير مصطلح «الحوار بين الثقافات»، فمن المستحسن أن نقدم معلومات موجزة حول معنى هذا المصطلح.

يقول أولائك الذين يعارضون الحوار بين الثقافات بأن هذا المفهوم ولد عند الغرب والهدف الحقيقي منه هو تعزيز هيمنة الثقافة الغربية في جميع أنحاء العالم تحت ذريعة «الحوار». هذا الموقف الفريد من نوعه، والذي يتشارك فيه بعض الأفراد والجماعات من ذوي الآراء المتطرفة في العالم الإسلامي، ليس علميًا ولا عاطفيًا. في الواقع، الحوار بين الثقافات هو مفهوم لا يهدف إلى دمج الثقافات، ولكن إلى تكوين مجتمعات شاملة في العالم الحديث. الحوار بين الثقافات يعني «تبادل علني لوجهات النظر على أساس التفاهم والاحترام المتبادل بين الأفراد والجماعات الذين ينتمون إلى ثقافات متنوعة عرقيًا ودينيًا ولغويًا[3]. ونتيجة لذلك يجب أن يؤدي الحوار بين الثقافات الى التفاهم المتبادل بين الناس الذين يحملون هويات قومية ودينية مختلفة، وبالتالي يعمل على تعزيز العيش السلمي المشترك. ولذلك، فإن اعتبار هذا المصطلح على أنه «حوار ثقافي أحادي الطرف (مونولوج)» ليس صحيحًا.

معرفة الأعراق والخلفيات الدينية المختلفة وفهم القيم الأخلاقية للغير والاحترام المتبادل لمباديء الأخر تحمل أهمية خاصة من أجل تعزيز فكرة

[1] مارشال ماكلوهان، مجرة جوتنبرج: صنع الرجل التقليدي، كندا: مطبعة جامعة تورنتو، 1962، ص. 31.

[2] يرجع أصل مصطلح «غيتو» (Ghetto) إلى اسم الحي اليهودي في البندقية الذي تمت إقامته عام 1516، وأجبرت السلطات البندقية يهود المدينة على العيش فيه.

[3] الكتاب الأبيض حول الحوار بين الثقافات «العيش معًا على مبدأ المساواة في الكرامة» (صادر عن مجلس وزراء خارجية أوروبا في جلستهم الوزارية 118)، ستراسبورغ، 2008، ص. 9-10.

العيش المشترك والقضاء على العنف في عالمنا المعاصر. في الحقيقة، أحد الأسباب الرئيسية للعنف في العالم هو الجهل أو تضليل الناس حول قيم الآخر. أحد أكبر التحديات التي نواجهها اليوم هو تشويه الثقافات والقيم الدينية المختلفة، وتقديمها كنظم تشجع على العنف والتعصب بدلاً من السلام والتعايش. في عالمنا المعاصر، الذي أصبحت الشبكات الاجتماعية فيه بمثابة المصدر الرئيسي للمعرفة، نرى بأن المعلومات يمكن نشرها في أجزاء مختلفة من العالم بسهولة وبسرعة كبيرة مما يؤدي إلى «تلوث المعلومات». في المجال الديني، تعتبر هذه المشكلة حرجة. لذلك، هناك ضرورة ملحة لتقديم المعرفة، التي تكشف الجوهر الحقيقي للثقافات والمعتقدات، التي لا تخدم الانقسام بل الوحدة، وتوصيلها للمجتمع العالمي. الطريقة الأكثر دقة وموضوعية للقيام بذلك هي الحصول على المعلومات حول كل ثقافة من حامليها ومصادرها. فجميع الثقافات تمتلك ماهو مفيد لها ولغيرها. كما يثبت التاريخ بأن كل ثقافة عالمية متقدمة، استعارت إنجازات الثقافات الأخرى. وكل هذا يثبت أهمية الحوار بين الثقافات.

نظرة على تاريخ الحوار بين الثقافات

إنه لمن المؤسف، أن نشهد في العالم الحديث الاستخدام الشائع لمصطلح «صراع الحضارات»[4] إلى جانب مصطلح «الحوار بين الثقافات». عشرات الأعمال البحثية التي تُرجع هذا المفهوم، المقترح من قبل صامويل هنتنغتون، الى العلاقات بين المجموعات العرقية والدينية والاجتماعية المختلفة، تظهر أن المشكلة لاتكمن في اختراع هذا المصطلح الجديد. لا أريد حتى التفكير في عواقب صدام الحضارات في عالم يتحول إلى العولمة. إذا نظرنا الى تاريخ العلاقات بين الثقافات، فإنه يمكن ملاحظة أن هذا المصطلح يخالف آراء هنتنغتون حيث لا يوجد تصادم بين الثقافات وإنما تعاون. حتى صراع الثقافات، الذي يشبه ظاهريًا المواجهة، يؤدي جدليًا إلى الوحدة. لإيضاح ذلك، دعونا ننظر بإيجاز في تاريخ العلاقات بين الثقافات المسيحية والإسلامية، والتي أصبحت، مؤخرًا، موضوعًا متكررًا للنقاش العلمي.

من المعلوم، أن الإسلام انتشر في المناطق التي يقطنها ممثلي مختلف الثقافات، وعبر حدود شبه الجزيرة العربية نتيجة الفتوحات التي حدثت بعد وفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. من بين تلك المناطق دول تهيمن عليها الثقافة المسيحية مثل سوريا وإيران وشمال إفريقيا. لم يفرض المسلمون على المسيحيين الذين يعيشون في تلك المناطق اعتناق الإسلام بصورة جبرية. بل استعار المسلمون إنجازات البلدان التي فتحوها في العلوم والفلسفة وخير مثال على ذلك هو المركز الأكاديمي للأبحاث «بيت الحكمة» الذي أنشئ في بغداد في بداية القرن التاسع. أهمية هذا المركز بانت خلال العصر العباسي إبان حكم الخليفة المأمون حيث كان يجسد الموقف المنفتح (الشامل) للثقافة الإسلامية تجاه الثقافات الأخرى. في المصادر التاريخية يذكر موقف عجيب يحمل دلالة على المكانة الكبيرة التي منحها المأمون لبيت الحكمة. ووفقا لهذا المصدر فإن المأمون ذهب على رأس حملة عسكرية في عام 830م وغزى الإمبراطورية البيزنطية وعاد منتصرًا. بعد عودته من بغداد، أخذ معه العديد من الكتب العلمية والفلسفية لليونانيين القدماء. قدمها الخليفة إلى بيت الحكمة لكي تترجم إلى العربية. بالإضافة إلى ذلك، خصص أموالًا كبيرة لإثراء مكتبة هذا المركز[5]. في الواقع، هذه الحالة هي مثال واضح على حقيقة أن المواجهة العسكرية بين الدول ذات الثقافات المختلفة لا تؤدي إلى صدام الثقافات، بل على العكس من ذلك، تخلق فرصًا لاستعارة الإنجازات العلمية والفلسفية للثقافات الأخرى.

أغلب العلماء في بيت الحكمة كانوا من المسيحيين، وهذا يعتبر مظهر من مظاهر التسامح في علاقات المسلمين مع الديانات والثقافات الأخرى، لدرجة أن الخليفة أرسل متخصصين من بيت الحكمة، وكان معظمهم ينتمي إلى الكنيسة الآشورية كالحجاج بن مطر وسلم ويوحنا بن مسويه إلى بيزنطة برسالة الى الامبراطور، طلب فيها منه السماح بجلب الكتب، التي اختارها هؤلاء المتخصصون، الى بغداد[6]. بعد إحضار الكتب إلى بغداد، بدأت عملية الترجمة المكثفة، وتمت ترجمة التراث اليوناني القديم، فترجمت كتب أفلاطون وأرسطو إلى العربية. لعبت هذه الترجمة دورًا مهمًا في تطوير الثقافة الإسلامية فقد استعار المسلمون منجزات الثقافات الأخرى التي بفضلها وبمساهماتها حدث إحياء الثقافة، الذي يسميه العديد من مؤرخي الثقافة «إحياء الإسلام». إحياء الإسلام شمل جميع المجالات، وبالذات العلم والفلسفة و الأدب[7].

الثقافة الإسلامية لم تستخدم إنجازات الثقافات الأخرى، مثل الثقافة اليونانية القديمة فحسب، ولكن لعبت دورا هاما في تطوير العديد من الثقافات، مثل الثقافة الغربية. بفضل الثقافة الإسلامية، تم إعادة اكتشاف العديد من الكلاسيكيات اليونانية. رؤية المفكرين المسلمين كان لها تأثير إيجابي على الفكر الأوروبي حيث ترجمت أعمال العديد من المفكرين والعلماء المسلمين في العصور الوسطى، مثل ابن سينا وابن رشد، إلى اللغة اللاتينية وهذا دليل واضح على ذلك.

توضح الأمثلة المذكورة أعلاه أن أي ثقافة لا يمكن أن تصبح ثقافة عالمية إلا من خلال استخدام إنجازات الثقافات الأخرى. الثقافات التي لا تخرج عن إطارها، وتزدرئ إنجازات الآخرين، لن تكون قادرة على التخلص من

[4] صامويل هنتنغتون. صراع الحضارات وإعادة تشكيل النظام العالمي، نيويورك: سايمون و شوستر، 1996.

[5] محمود كايا، موسوعة «بيت الحكمة» للمؤسسة الدينية الإسلامية في تركيا، أنقرة، 1992، 90/6.

[6] ابن النديم، فهرسة [ب. ق.]، الفن. 304.

[7] جويل ل. كرمر، النزعة الإنسانية في نهضة الإسلام: النهضة الثقافية خلال العصر البويدي، ليدن: إي جي بريل، 1992، ص. 1-5.

المدير السابق لمعهد اللاهوت في أذربيجان جيهون محمدوف مع مدير المعهد الإسلامي بموسكو ضمير محيي الدين بعد توقيع مذكرة تعاون

أغلال الروتينية. لا يمكن للقيم المثالية أن تهيمن في مجتمع تسيطر عليه الروتينية. في المقابل، يمكن لمجتمع خالٍ من القيم المثالية أن يتحول إلى بيئة ملائمة لظهور آراء راديكالية عنيفة. هذا يدل على أن تطوير الحوار الذي يركز على التواصل بين الثقافات لا يؤدي فقط إلى تطوير الثقافات المختلفة باستخدام إنجازات الآخرين، ولكن يؤدي أيضًا إلى ظهور بيئة قائمة على الاحترام المتبادل وظهور تربة اجتماعية خصبة بين حاملي الثقافات.

الأسس العقائدية للحوار بين الثقافات ودورها في محاربة العنف

بدراسة النصوص المقدسة للأديان الإبراهيمية، يمكن للمرء أن يرى بأن العديد من المبادئ الأساسية للحوار بين الثقافات ظهرت فيها بشكل واضح. على سبيل المثال الوصايا العشر التي أنزلت على موسى في التوراة مثل «لا تقتل»، «لا تسرق»، «لا تشهد زورًا»، «لا ترغب في بيت جارك» ومبدأ «أحب قريبك كما تحب نفسك»المشار إليه في الإنجيل[8].

في أخر الكتب التي أنزلها الله وهو القرآن الكريم، توجد العديد من المبادئ الإنسانية. على سبيل المثال، الأية 32 من سورة المائدة تظهر إنسانية الدين الإسلامي الذي يحاول اليوم كثير من الناس تشويه صورته وإظهاره بصورة دين يحث على العنف. قال تعالى:

«مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ» (سورة المائدة، الآية 32).

ووفقا لهذه الآية فإن استخدام العنف ممنوع و قتل شخص بريء كقتل جميع الناس.

توجد آيات عديدة في القرآن تحث على العيش المشترك — وهو أحد المبادئ الأساسية للحوار بين الثقافات. على سبيل المثال الآية: **«لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ»** (سورة البقرة، الآية 256).

إجبار ممثلي الديانات الأخرى على اعتناق الإسلام أمر غير مقبول، وحرية الدين مكفولة، والمسلمون لا يضطهدون أتباع الديانات الأخرى. الأية الأخرى التي تقول:

«وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ» (سورة الروم، الآية 22)

توضح طبيعة التنوع اللغوي والعرقي للناس. يقول الله في سورة هود: **«وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ»** (سورة هود، الآية 118).

ونتيجة لذلك فإن الإضطهاد اللغوي والديني والعرقي من وجهة النظر القرآنية هو انكار وعدم اعتراف لقدرة الله.

بدراسة سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، الذي يعتبر «القرآن الحي»، يمكننا أن نرى بوضوح أنه عليه الصلاة والسلام طبق المبادئ القرآنية المذكورة أعلاه في حياته. كان المجتمع الذي بناه الرسول في المدينة المنورة على أساس المبادئ الإنسانية هو المجتمع المثالي في ذلك الوقت. عاش في الدولة التي أنشأها الرسول في المدينة المنورة، يهود ومشركون ومسيحيون إلى جانب المسلمين. في ذلك المجتمع، لم تكن هناك حالات عنف ضد ممثلي الديانات الأخرى. صاغ عليه الصلاة والسلام قانونًا مكتوبًا يتكون من 52 مادة. فحكم عليه الصلاة والسلام مجتمع المدينة المنورة وفق هذا القانون. هذا القانون، سماه الباحث الكبير محمد حميد الله «دستور المدينة»،حيث تم إعطاء غير المسلمين، بالذات اليهود، الحق في إقامة شرائع دينهم[9]. في العلاقات الشخصية مع ممثلي الديانات الأخرى، اتبع الرسول مبدأ الاحترام. على سبيل المثال، علاقته مع ملك الحبشة المسيحي النجاشي كانت علاقة أخوية. وكذلك كلماته «**أليست نفسا**»، التي قالها للناس الذين فوجئوا بوقوفه عندما مرت من أمامه جنازة

[8] مرقس ١٢:٣١.

[9] محمد حميد الله: بعد الهجرة. «التسامح في السلوك النبوي»، ترجمة مصطفى أشقر، مجلة العلوم الدينية، 1995، العدد 31 / 5-6.

رجل يهودي ميت في المدينة المنورة[10]. وسماحه لمسيحي نجران بالصلاة في المسجد النبوي هو دليل على تسامحه تجاه الأديان الأخرى[11].

استمر التسامح مع ممثلي الديانات والثقافات الأخرى في العالم الإسلامي بعد النبي عليه الصلاة والسلام. فلم يقم المسلمون باضطهاد الثقافات الأخرى ولم يمتنعوا عن الحوار الثقافي، حديث النبي، الذي يقول «**الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها**» يعكس مواقف الثقافة الإسلامية مع الثقافات الأخرى. وفقًا لهذا الموقف، يمكن للمسلمين استعارة المعرفة والحكمة من الثقافة التي وجدوها فيها. وجهة نظر«الحكمة الخالدة» تظهر بأن الحكمة لا توجد في حدود ثقافة معينة. وفقًا لهذا الرأي، المسمى "الفلسفة الأبدية" في الثقافة الغربية، «ساناتان دارما» في الثقافة الهندية، فإن الحقيقة لها مصدر واحد وتتجلى في ثقافات مختلفة في نفس المحتوى، ولكن بأشكال مختلفة[12]. ظهر هذا الرأي بشكل أفضل في التقليد الصوفي. كان الصوفيون، الذين يبحثون عن الوحدة المخبأة وراء الوفرة الظاهرة، ينظرون إلى الكون بنظرة مشابهة، ويبحثون عما يوحد الناس لا مايقسمهم. عبارة «نحن لم نأت إلى هذا العالم للانقسام، ولكن للتوحد» تظهر موقف الصوفيين المسلمين تجاه ممثلي الثقافات المختلفة. المفكر الإنساني العظيم مولانا جلال الدين زنكي وصف هذا الموقف فقال: «و المسلم، والمسيحي، واليهودي وأولئك الذين يعبدون النار يتوجهون إلى الله سبحانه وتعالى. حتى الحجر والأرض والجبل والماء يصلون إليه سراً»[13].

الاستنتاج

وهكذا، أصبح الحوار بين الثقافات، الذي يعني تبادل الآراء على أساس الاحترام المتبادل بين الناس الذين ينتمون إلى ثقافات مختلفة، ضرورة في العالم الحديث، حيث ازدادت عدد الجماعات الدينية ذات الآراء الراديكالية المعادية للأجانب والقائمة على العنف. يبين التاريخ بأن الحوار بين الثقافات يؤدي الى بناء العلاقات بين الثقافات وتبادل المنفعة وكذلك تعزيز التسامح بين منتسبي الثقافات المختلفة. ومع ذلك، من الجدير بالذكر أن وجود بيئة ملائمة للحوار هو العامل الرئيسي في نجاحه. لخلق بيئة ملائمة للحوار بين الثقافات، أولاً وقبل كل شيء، من الضروري القضاء على عدم المساواة الاجتماعية والاقتصادية في العالم، والتي تعتبر أحد الأسباب الرئيسية للعنف، وكذلك يجب تشجيع القيم الثقافية داخل الأسرة. وعلى وجه الخصوص، تحرير التعليم الديني من حصرية الاتجاهات، ومنح الدين الطابع التعددي بحيث يشمل القيم الثقافية [14]سيساهم بشكل كبير في القضاء على الإكراه الديني وتعزيز ثقافة السلام والتعايش.

[10] صحيح البخاري، بيروت: دار الفكر، 1981/1401، ص. 87 (جنائز 49).

[11] ابن هشام، السيرة النبوية، القاهرة، 1955، 1 / 573–75، ابن سعد، طبقات، بيروت، 1957، 357/1.

[12] إلهان كوتلوير، مفهوم الفلسفة في العصر الأول للإسلام، اسطنبول: دار إيز للنشر، 2001، ص. 29.

[13] جلال الدين الرومي، مسناوي، www.masnavi.net/1/10/tur/6/2410

[14] باكس. أوفي ن محمد، «التعددية الثقافية والتعليم الديني»، التربية الدينية، المجلد 87، العدد 1، 1992.ص. 62–74.

مواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين بروح اللقاء والاحترام

د. ماريك مورون،
محاضر في جامعة جاجيلونيان في كراكوف،
باحث في مركز البحوث المتخصص في
مقارنة الحضارات (كراكوف، بولندا)

لم تمر فترة من الفترات على مر التاريخ دون حدوث أزمات وتحديات. والمسلم بطبيعته هو شخص متفائل ومبتهج لأنه يسير على طريق مستقيم بعقل وقلب منفتحين يدلان على منشأه ومصيره من خلال أدوات تشع بالحب والاحترام تجاه خلق الله.

1. هذه الفترة الحالية من الجائحة هي فرصة للعودة إلى أنفسنا. هذه الفرصة أتت بسبب الخلل الذي حدث لحياتنا الطبيعية وحد بشكل كبير من أنشطتنا الاجتماعية وبالتالي هيأ الظروف لسكون العقل والقلب. هذا السكون الذي نحن في أمس الحاجة إليه خصوصًا في بيئتنا الأوروبية، التي يركض فيها الناس في كل مكان ليلًا ونهارًا.

السكون لا يعني الكسل والخمول. ففيه قد يقرأ المسلم الكتب ويعجب بجهود الناس من الحضارات غير الإسلامية. في هذا الصدد، أود أن أقتبس مقولة منسوبة إلى الفيلسوف الصيني الأسطوري لاوتزه (أو لاوتسي) الذي عاش في القرن السادس قبل الميلاد حيث قال: "بعدم القيام بأي شيء يتم القيام بكل شيء (أو يتم القيام بأفضل شيء)".

كمثال على ذلك بإمكاننا دراسة الفترة التي عقبت صلح الحديبية. نستطيع أن نسميها فترة السكون مقارنة بذلك العصر الذي اشتدت فيه الحروب التي سبقت الصلح. ومع ذلك فقد كانت فترة السكون هذه هي فترة تعلم الدين وكيفية العيش وفقًا لتعاليمه. في تلك الفترة تم إنجاز الكثير دون القيام بأي شيء يذكر إذا نظرنا من منظور الإنجازات التاريخية.

لا يمكننا أن نأمل بشكل كبير أن يقرأ عدد كبير من غير المسلمين في القرن الحادي والعشرين القرآن الكريم ليعرفوا ماهو الإسلام. لذلك يجب على مسلمي أوروبا وأعني هنا مسلمي المجتمعات التقليدية التي تعيش كجزء من قارتنا منذ قرون أن يكونوا بمثابة "سفراء" للإسلام.

في هذه الحالة سينظر إلينا إخوتنا وأخواتنا من غير المسلمين وسيرون كيف يعيش المسلمون ويتعاملون مع الآخرين وما إلى ذلك، وفي تلك الحالة قد يهتمون في معرفة جوهر هذا الدين المثالي كما يجب أن يكون تطبيقه في الواقع. وبتطبيقه نعرف كيف نتكيف مع الوضع «الجديد» دون أن نفقد جوهر التراث.

2. نشهد منذ عدة عقود مبادرات جدية مثيرة للاهتمام من قبل أخوتنا المسيحيين (خاصة الكاثوليك) في شكل مقترحات لإقامة الحوار. قد يُنظر بطبيعة الحال إلى مثل هذا الحوار باعتباره يحمل قيمة كبيرة في حد ذاته، وسيفرح مسلمو أوروبا بالمشاركة فيه. فهو يخدم بشكل كبير نمو ثقافة الوعي باللقاء.

هناك مجالان للقاء المسيحي (الكاثوليكي) — الإسلامي. المجال الأول هو مجال القيم الإنسانية وفهم حتمية مصيرنا المشترك على هذه الأرض والإستعداد له بالعمل المشترك في ظل النور الآلهي. يجد هذا الموقف وهذه العلامات صدى لهم في وثيقة الأخوة الإنسانية الموقعة في أبو ظبي في الرابع من فبراير 2019 من قبل البابا فرانسيس وشيخ الأزهر الإمام الأكبر أحمد الطيب. نجد في هذه الوثيقة إشارات باعثة للأمل يمكن أن ترشدنا جميعًا إلى فهم عميق واحترام متبادل. وهنا نقتبس منها مايلي: «التَّعدُّدِيَّةَ والاختلافَ في الدِّينِ واللَّوْنِ والجِنسِ والعِرْقِ واللُّغةِ حِكمةٌ لِمَشِيئةٍ إلهيَّةٍ، قد خَلَقَ اللهُ البشَرَ عليها، وجعَلَها أصلًا ثابتًا تَتَفرَّعُ عنه حُقُوقُ حُريَّةِ الاعتقادِ، وحريَّةِ الاختلافِ». في هذا المجال من الأخوة الإنسانية، قد يكون من الممكن التقدم بشكل مشترك باتباع قيمنا المشتركة الخاصة بإدارة الحياة الإنسانية على الأرض.

المجال الأخر للقاء المسيحي (الكاثوليكي) – الإسلامي هو مجال المقدسات والعقيدة وعلاقات الإنسان بالله. في هذا المجال الحوار غير ممكن في الوقت الحاضر. تم توضيح الموقف العقائدي وتقييم الإسلام (والعقائد الأخرى) من قبل الكنيسة الكاثوليكية بأمانة ووضوح في وثيقتين:

1. بيان «دومينوس يسوع» (Dominus Jesus) في 6.8.2000 الذي صدر عن مجمع عقيدة الإيمان،
2. بيان «جميعنا إخوة» (Fratelli tutti) في 4.10.2020 الذي صدر من قبل البابا فرانسيس.

الكلمات الرئيسية التي تشير الى العقائد الأخرى المخالفة للعقيدة الكاثوليكية نجدها في الوثيقة الأولى وثيقة دومينوس يسوع. هذه الكلمات تم اقتباسها وتكرارها في وثيقة البابا فرانسيس.

د. ماريك مورون أثناء مشاركته في المنتدى الإسلامي العالمي الخامس عشر

وهنا نذكر النص بالإقتباس:

«تقدر الكنيسة بشكل كبير أسلوب حياة وسلوك أتباع الديانات الأخرى، ومبادئهم ومذاهبهم التي... **غالبًا ما تعكس شعاعًا من تلك الحقيقة التي تنير أتباعها جميعًا رجالًا ونساءً**». بكلمات أخرى، الإسلام فيما يخص العلاقات مع الله سبحانه وتعالى قد يعكس أحيانًا شعاع الحقيقة. وهذا كل شيء.

يعتبر هذا تصريحًا جريئًا من الكنيسة بقول أن كل الديانات ماعدا المسيحية، في خطًا وضلال. مع ذلك أحيانًا قد تظهر أشياء قيمة من أفكار المسلمين.

يجب أن نقدر هذه الصراحة للكنيسة. في الوقت نفسه، بمعرفتنا لهذا الأمر، يجب أن نعلن أن مناقشة أي مسائل عقائدية مع الكنيسة الكاثوليكية سيكون «حديثًا فارغًا» كما جاء في وثيقة الأخوة الإنسانية «أنَّ الحوارَ بين المُؤمِنين يَعنِي التلاقيَ في المساحةِ الهائلةِ للقِيَمِ الرُّوحيَّةِ والإنسانيَّةِ والاجتماعيَّةِ المُشترَكةِ، واستثمارَ ذلك في نَشْرِ الأخلاقِ والفَضائلِ العُلْيَا التي تدعو إليها الأديانُ، وتَجنُّبَ الجَدَلِ العَقِيمِ».

لا يرى المسلمون أخواتهم وإخوانهم من المسيحيين بأنهم متساوين معهم من الناحية الإنسانية فقط، كما يرى المسيحيون المسلمين أيضًا (وثيقة دومينوس يسوع) ولكن المسلمون يقدمون احترامًا وتفهمًا لامحدودًا للنور الذي يتبعه المسيحيون، وبالتالي فإن المسلمين لا يدخولون هذا المجال بكبرياء الأفضلية والإزدراء ولا يقيمون المنهج المسيحي على أنه «قد يعكس أحيانًا شعاعًا من الحقيقة».

يقول عز وجل: «**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**» (سورة الكافرون، الآية 6)،

ويقول: «**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**» (سورة التغابن، الآية 12).

هذا هو منهج المسلمين في ثقافة اللقاء.

3. أُختطفت المسيحية والإسلام في مرات عديدة على مر التاريخ، كما هو الحال في الوقت الحاضر، من قبل كيانات سياسية تسعى إلى تحقيق مصالحها الخاصة من خلال التصرفات والأعمال التي يرفضها المسيحيون والمسلمون بشدة. يجب أن نكون حريصين على ألا نعطي الفرصة للشيطان، عدو البشرية، بأن يجرنا إلى كره بعضنا البعض والدخول في نزاعات وصراعات تميل بنا بعيدًا عن توجيهات روح الأخوة الإنسانية.

نشأت ثقافة الصدام بسبب الاستعمال الفعال للمعتقدات الدينية من أجل تحقيق أجندة سياسية. ونحن لدينا هذه الأطراف والكيانات في الإسلام على سبيل المثال المجموعات ذات العقلية العشائرية والإرهابية والمليشيات المتجذرة في ثوابت ومعتقدات القرن الثامن عشر، وهي كيانات تضغط على الإسلام لحل مشاكل القرن الحادي والعشرين التي تحتاج إلى الإسلام كأداة تنوير وليس كأداة للتدخل المباشر الفعال.

يزعم الغرب بأنهم المالك الوحيد لجميع صفات «الحداثة». يعتبر الغرب هذا الأمر بمثابة عقيدة منذ أكثر من حوالي 200 عام. يبدو أنهم لا يفهمون أن «الحداثة» كانت وسيكون لديها العديد من الأوجه والأشكال.

للحفاظ على وجهة النظر هذه حول احتكار الحداثة، يتعين على الغرب أن يخترع أعداء لتوجيه الاتهام إليهم بنيتهم تدمير ذلك الغرب الحديث. لا يُشار إلى هؤلاء الأعداء على أنهم عبارة عن عدد من المنظمات الإجرامية أو الدول المارقة الغنية التي تدعم الجماعات الإرهابية. بل يشير الغرب بقوتهم الوسطية إلى الإسلام باعتباره هو العدو بشكل عام دون أي تحديد.

ولهذا فإن السوق الغربية تروج في كافة المجالات بشكل تدريجي لمفاهيم مثل "نهاية التاريخ" لفرانسيس فوكوياما و"صدام الحضارات" لصامويل هنتنغتون. يعتبر من الأهمية الثانوية فهم لماذا وكيف تستند هذه الأفكار على العقل والمسؤولية. ماالذي جعل ويجعل هذه السوق ناجحةً، بحيث تبيع نفسها بنفسها. يزيد النقاش حول بعض هذه المفاهيم مثل «صراع الحضارات» ثم يأتي الجواب للعديد من الظواهر والمشاكل التي يواجهها الرجال .

في القرن الحادي والعشرين، «الصدام» يصنع الأخبار. هذا يعني أن الصراعات والحروب والموت ومثل هذه الأخبار تزيد من مبيعات القنوات ووسائل الأعلام الأخرى.

«اللقاء» و الحوار لا يصنع الأخبار. عندما لا تحدث مأساة أوحرب وتكون

الحياة طبيعية لا تهتم المؤسسات الإعلامية بها. هذا الأمر بالنسبة لهم ليس جاذبًا للترويج.

لهذا، تحمل جهود المسيحيين والمسلمين للسير بحزم على طريق الأخوة الإنسانية أهمية كبيرة.

4. يجب أن نتحلى بالحكمة والحذر عندما نستخدم مصطلح «التسامح» لوصف العلاقات بيننا. إن هذا المصطلح ليس مناسبًا ونستخدمه فقط لأننا اعتدنا عليه ونعتقد أنه يعني شيئًا جيدًا. التسامح هو القدرة على التعامل مع شيء غير مرغوب أو مزعج ولايزال قائمًا رغم الظروف السيئة والصعبة. قد يوصف أيضًا بأنه التنازل وقبول سلوكًا أو معتقدًا مختلفًا عن سلوكنا على الرغم من أننا لا نوافق عليه.

بدلا من الجدال حول صحة مصطلح «التسامح» في سياق ثقافة اللقاء نستطيح أن نقترح مصطلح «الاحترام». الحضارة الأوروبية، التي يمكن أن ينظر إليها على أنها نشأت من الفلسفة اليونانية، والقوانين الرومانية، وكذلك الروافد اليهودية المسيحية التي انضمت إليها في العصور الوسطى بسبب المساهمة الإسلامية، من خلال كل هذه المكونات هي تحتوي على مبدأ «الاحترام».

ومع ذلك، قررت أوروبا «الحديثة» مؤخرًا التخلي عن جذورها الروحية، ولم يعد في قارتنا مصطلح «الاحترام» صالحًا لا عند الإشارة الى شيء مدنس ولا عند الإشارة إلى شيء مقدس. التفكير بالشكل التالي «بما أنه لايوجد شيء مقدس بالنسبة لي فهذا يعني أنه يمكنني الإساءة وإهانة ما هو مقدس بالنسبة لك». وإذا تم تسمية هذا التفكير بحرية التعبير، فإن الغرب قد خرج عن إطار الحضارة التي يدعي أنه فخور جدًا بها.

ينتهج الإسلام مبدأ «الاحترام» ويعتبره طريقًا الى تحقيق ثقافة اللقاء والحريات الاجتماعية والسياسية ومواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين.

5. الشيء الأكثر أهمية بالنسبة للمسلمين في القرن الحادي والعشرين ليس معضلة ثقافة اللقاء أو ثقافة الصدام بالنسبة لعلاقاتهم مع المسيحين.

فنحن الى حد ما قد حققنا بعض النجاحات في بناء خطاب اللقاء الفعلي وقد قطعنا مسافة كبيرة وانتقلنا من «سوط وعقاب الله» في العصور الوسطى إلى الأخوة في الأديان الإبراهيمية في القرن الحادي والعشرين.

التحدي الأكبر للإسلام في القرن الحادي والعشرين هو اتباع ثقافة اللقاء وليس ثقافة الصدام عن طريق الاحترام والعودة إلى المعايير الجديدة التي تفرضها علينا التحديات التي نواجهها في القرن الحادي والعشرين.

يمكننا القيام بهذا بقوة ووضوح ونضارة الإسلام كما هي أصولنا.

ومع ذلك، قد نأخذ نصيحة المحامي الباكستاني القاضي محمد منير خان الذي كتب في تقريره في عام 1954: "لا شيء، سوى إعادة توجيه جريئة للإسلام من أجل فصل ما هو حيوي عن اللاحيوي، يمكن أن يحافظ على الإسلام كفكرة عالمية تحول المسلم إلى مواطن للحاضر والمستقبل".

إن بديل اللقاء مقابل الصدام فيما يخص علاقات المسيحيين بالمعتقدات الأخرى هو أحد مكونات تحديات القرن الحادي والعشرين العالمية التي فرضت على الإسلام. تمثل تحديات القرن الحادي والعشرين معضلة سواء كنا نراها تهديدًا خطيرًا لشيء معروف لنا، أو شيء اعتدنا عليه، ولذا يجب علينا أن نتصادم مع ذلك الجديد للدفاع عما خضناه في التجارب السابقة باعتباره أمرًا مألوفًا وقائمًا أو إذا كان المسلمون يعتبرون هذه التحديات على أنها علامات، يجب عليهم الوقوف عندها بروح اللقاء والإحترام وبذل الجهود من أجل قراءة معانيها والخروج بالإنسانية إلى بر الأمان في القرن الحادي والعشرين.

الأخلاقيات الجديدة للرحمة

د. إبراهيم أوزدمير،
كبير الباحثين في الثقافة والتاريخ والفلسفة
بأكاديمية ابو (توركو، فنلندا)

مقدمة

سأحاول إيضاح ما أعنيه بالأخلاق الجديدة تجاه الكائنات الحية ببعض التأملات في تاريخ الفلسفة. على الرغم من وجود وجهات نظر مختلفة حول تأثير الفلسفة الأغريقية على الأخلاق الإسلامية، إلا انه يمكن القول بوضوح بأن «الارتباط الإغريقي الإسلامي ساهم في تطوير نوع من الأخلاق يربط الميتافيزيقا بالأخلاق الفضيلة». استخدم الفلاسفة المسلمون الإرث الإغريقي وابتكروا نظرياتهم ضمن النظرة الإسلامية للعالم. وكان تعامل المسلمين مع المصادر الإغريقية مثمرًا للغاية.

يقول حوراني، على سبيل المثال، بأن كتب الأخلاق الكلاسيكية اتبعت تقاليد راسخة للفلسفة الهيلينية مكتوبة باللغة العربية، بحيث تتعامل مع الكمال وغاية الروح والفضائل كوسائل، والرذائل كأدواة تطرف. لكن أساسها الفلسفي مأخوذ من أرسطو والمشائين والأفلاطونية الحديثة، ولايقدم سوى القليل من الاهتمام الفلسفي العام الجديد [ز. أيوبي، ص. 12]. هذا يظهر في أعمال الفلاسفة المسلمين أمثال الكندي (توفي عام 873م)، مسكويه (932–1030م)، الغزالي (1058–1111م)، ناصر الدين الطوسي (1201–1274م)، الدواني (1426–1502م)، وفخر الدين الرازي (توفي عام 1209م). علاوة على ذلك، كما يؤكد ريتشارد ج. هوفانيسيان على أن الفقهاء يعتبرون القرآن وثيقة قانونية، ومراعاة القواعد واللوائح المحددة فيه يعتبر تحقيقاً للإرادة الإلهية. الجوانب الأخلاقية للقرآن كانت قد طغت أو اندمجت مع الصيغ القانونية. ونتيجة لذلك، كما يشير فضل الرحمن، «أصبح القرآن أسيرًا لدى المفسرين، بدلًا من أن يكون مصدرهم ومرشدهم». لذلك، «يجب إعادة تفسير الإسلام في ظل الأفكار الأخلاقية والأدبية الصادقة بما يتوافق مع العقيدة الواردة في القرآن» [فضل الرحمن القانون والأخلاق في الإسلام، 1-2]. أكدت سارة طليلي أيضًا على نفس القضايا وشرحت سبب إهمال النظريات الأخلاقية الكلاسيكية لحقوق الكائنات الحية.

على الرغم من أن رفاهية الإنسان والحيوان حظيت باهتمام كبير، إلا أن القضايا المتعلقة بطبيعة ووضع الأنواع غير البشرية لم تستفد من نفس المقدار من الاهتمام رغم أن القرآن والسنة يحتويان على مخزون من النصوص ويقدمان وجهة نظر رائعة حول هذا البعد لقضية الحيوان [ص. 3].

علاوة على ذلك، تؤكد سارة طليلي على أنه «من خلال القراءة المتمعنة للقرآن، نجد بأن القرآن لا يقدم الحيوانات غير البشرية على أنها كائنات معقدة التركيب نفسيًا فحسب، بل يقدِّرها أيضًا بشكل أكبر بكثير مما هو متعارف عليه عادةً». ثم شرعت في استكشاف نهج القرآن في دراسة طبيعة ومكانة الحيوانات البشرية وغير البشرية [طليلي، 3-4].

عندما نقول بأن نظريات الأخلاق الإسلامية الكلاسيكية ليست مشتقة من القرآن الكريم، فإننا نعني أنها لا تعكس روح القرآن في بعض الموضوعات المعاصرة مثل حقوق الإنسان والنوع وأخيراً وليس آخراً حقوق الحيوان من خلال دراسة متعمقة للرؤية القرآنية للعالم (Weltanschauung). ومع ذلك، فإن تنظير الأخلاق على المباديء والأسس العقلانية ليس أمرًا غريبًا على الفلاسفة المسلمين. يعتقد هايدت بأنه «على مدى التاريخ الطويل للفلسفة الأخلاقية، كان التركيز بشكل عام على التبرير الأخلاقي للأفعال، في حين أن التبرير العاطفي كان يُنظر إليه ببعض الشك». يمكننا أن نضيف هنا أن نصوص الأخلاق الإسلامية الكلاسيكية لم تكن استثناءً من التأثر بـ «كبار كهنة العقل» [هايدت، 2003؛ جورج حوراني في كتابه الأساسي العقل والتقاليد في الأخلاق الإسلامية] [فضل الرحمن، الأيوبي عن النوع، طليلي]. المثير للاهتمام هو أن ما أهمله علماء الأخلاق المسلمون الكلاسيكيون، وبالتحديد بناء نظرية أخلاقية حول القيم الأخلاقية المستمدة من الرؤية القرآنية للعالم، قام بدراسته العالم توشيهيكو إيزوتسو (1914–1993) الذي شغف بدراسة القرآن. يوضح إيزوتسو من خلال دراسته للمصطلحات الأساسية أن «المصطلحات الأساسية لا تعني مجرد تحليل ميكانيكي لهذه المصطلحات أو المفاهيم بمعزل عن بعضها البعض أو كوحدات مستقلة، ولكن دراسة معناها الحي المذكور في السياق القرآني». بعد دراسة «البنية الموضوعية لهذا التعليم القرآني» إيزوتسو يكتشف في المقام الأول أن علاقة الإنسان بربه مكونة من أربعة أركان، وهي علاقة وثيقة الصلة بموضوعنا هنا: (1) الله هو خالق الإنسان؛ (2) ينقل الله إرادته للإنسان من خلال

الوحي؛ (3) هناك علاقة عابد ومعبود بين الإنسان وربه (4) الله هو إله الخير والرحمة (لمن يشكره) وإله الغضب (لمن يعصيه).

المؤمنون بهذه العلاقة بين الله والإنسان هم من يشكلون الأمة الإسلامية وهم من يؤمنون باليوم الآخر والجنة والنار [نفس المرجع]. أتفق مع فضل الرحمن في أن «وصف إيزوتسو للتطور التاريخي لهذه المفاهيم في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام وحتى ظهور الإسلام هو وصف غني جدًا وقيِّم» لبناء نظرية أخلاقية جديدة مبنية على الرؤية القرآنية للعالم [فضل الرحمن، عن إيزوتسو، 2004، الثامن والتاسع].

سأحاول في هذه المقالة تقديم ومناقشة إمكانية وجود أخلاقيات الرحمة التي يمكن اشتقاقها من الرؤية القرآنية للعالم التي تشمل الرحمة والعناية بجميع المخلوقات. سأبدأ بما أسميه بأخلاقيات الرحمة .

شوبنهاور (Schopenhauer) وأخلاقيات الرحمة

بحث الفلاسفة عن أساس متين للأخلاق منذ ولادة الفلسفة وهذا ليس سرًا. ورغم ذلك، عندما نحاول فهم معنى أخلاقيات الرحمة، فمن المستحسن أن نبدأ بحثنا مع آرثر شوبنهاور لأنه «طور التحليل الأكثر شمولاً للطبيعة والأهمية الأخلاقية للرحمة ضمن التقاليد الفلسفية الغربية» [كارترايت، 30]. فقد بنى على أساس الأخلاق مقالته الشهيرة(Über die Grundlage der Moral) التي حازت على جائزة الجمعية الملكية الدنماركية حيث قال فيها بأن الأخلاق لا يمكن أن تبنى إلا على الرحمة. ديفيد إي كارترايت، المتخصص في أعمال شوبنهاور، يقول بأن هناك علاقة وطيدة بين فلسفة شوبنهاور والبوذية بسبب تركيزهما المتبادل على الدور الأساسي للرحمة في الحياة الروحية للإنسان [كارترايت، 30]. ومع ذلك، عند مناقشة أخلاقيات الرحمة، يجب ألا نتجاهل الفيلسوف الكونفوشيوسي الصيني مينسيوس (372–289 قبل الميلاد) الذي غالبًا ما يوصف بأنه «الحكيم الكونفوشيوسي الثاني». حجة مينسيوس الأساسية هي أن «كل شخص لديه قلب يشعر بالآخرين». لتوضيح الخير الفطري، استخدم منسيوس كمثال طفل يسقط في بئر، وهو ما يمكن اعتباره تجربة فكرية دقيقة.

يشعر من يشاهد هذا الحدث (سقوط الطفل في البئر) على الفور بالذعر والضيق، ليس من أجل كسب ود والدي الطفل، ولا للحصول على مدح الجيران والأصدقاء، ولا لأنهم يكرهون أن يقال عنهم (قليلي الإنسانية إذا لم ينقذوا الطفل)...

إن الشعور بالرحمة هو بالتأكيد بداية الإنسانية، والشعور بالخزي والكره هو بداية الصلاح، والشعور بالاحترام والامتثال هو بداية الاستقامة، والشعور بالصواب والخطأ هو بداية الحكمة.

يمتلك الإنسان هذه البدايات الأربع مثلما أنه لديه أطرافه الأربعة. فإذا كان الإنسان بامتلاكه هذه البدايات الأربع، يقول بأنه لا يستطيع تطويرها فهو يدمر نفسه [تشان 1963، 65].

من المثير للاهتمام، عند الإشارة إلى الجذور البوذية لشوبنهاور، قول كارترايت بأن «الرحمة هي أساس الأخلاق، ومصدر جميع الأعمال التي تمتلك قيمة أخلاقية والفكرة المهيمنة على سلوك الأشخاص الذين يمتلكون أخلاق رفيعة». في الواقع، حدد شوبنهاور ثلاث «دوافع» أساسية تحفز العمل البشري. الرحمة والأنانية والحقد. يعتقد شوبنهاور أن الأنانية هي الدافع العميق لكل إنسان وحيوان [عن أساسيات الأخلاق، §14، ص. 131]، فالأنانية هي الدافع الأساسي المضاد للأخلاق لكل من البشر وغير البشر [كانتويل، 26]. علاوة على ذلك، في رأيه، لا يمكن أن يكون للفعل قيمة أخلاقية بأي شكل من الأشكال إذا كان أنانيًا؛ واعتبر أن فرضية كانط المنطقية (اعمل كما لو أن مبدأ إرادتك هو قانون عالمي؛ أو «تصرف كما تريد أن يتصرف الأخرون معك») أنانيَّة [ماجي 1983، 400–401]. علاوة على ذلك، يعرف شوبنهاور الشخصية الأنانية كشخصية «يمكن أن تسبب ضررًا جسيمًا للآخر (الإنسان أوالحيوان) من أجل تحقيق منفعة لنفسها حتى لو كانت صغيرة». الحقد، من ناحية أخرى، هو الرغبة في معاناة الآخرين وهو مايقوم بتحفيز السلوك الذي ليس شريرًا فحسب، بل يمكن أن يكون أيضًا قاسيًا للغاية [المرجع نفسه]. ثم يصل شوبنهاور إلى استنتاج مفاده أن «الرحمة وحدها من تمثل الدافع الأخلاقي» [المرجع نفسه]، وهي «الحافز الوحيد غير الأناني الذي يقودنا بجوهره إلى تعزيز رفاهية الآخر أو منع معاناته، وبالتالي تشكل الرحمة الأساس الوحيد للأخلاق»[شابشاي، 151–152].

لشرح ديناميكية الرحمة وكيف أنها تدفع الناس إلى السعي وراء رفاهية الآخرين، يدعي شوبنهاور بأن الرحمة تتضمن تجربة غير عادية لمعاناة الآخر. وأكد أن معاناة مشكلة ما تقود الأفراد إلى التعامل مع معاناة الآخر تمامًا كما يتعاملون مع معاناتهم الشخصية. وبسبب الدور الأساسي الذي لعبته الرحمة في شرحه للسلوك الجدير بالاهتمام أخلاقيًا، أطلق شوبنهاور على الرحمة مسمى «اللغز العظيم للأخلاق»، ورأى أنها تتطلب تفسيرًا ميتافيزيقيًا [المرجع نفسه، 31]. بالطبع، يوضح شوبنهاور نظرية الأخلاق الفوقية (meta-ethics theory) كأساس للرحمة، ومع ذلك، فإن هذه الملاحظات الموجزة كافية لهدفنا الحالي هنا.

مفهوم الرحمة

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

«**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**» (سورة الأعراف، الآية 156).

ومع ذلك، وكما قلنا سابقًا، فقد أهملت الرحمة كمصدر للأخلاق من قبل منظري الأخلاق الإسلامية الكلاسيكيين والحديثين. علاوة على ذلك، يجب أن نتذكر أن البسملة «بسم الله الرحمن الرحيم» وردت 114 مرة في القرآن الكريم. كما أن هذه العبارة القصيرة والسجعية تحتوي على الجوهر

الحقيقي للقرآن، وقد ورد أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «**كُلُّ كَلَامٍ أَوْ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُفْتَحُ بِذِكْرِ اللهِ فَهُوَ أَبْتَرُ - أَوْ قَالَ : أَقْطَعُ**».

كما نرى، فإن التعاطف والرحمة مفهومان أساسيان لفهم الرؤية القرآنية للعالم. لذلك تكررت البسملة «في بداية مائة وثلاث عشرة سورة، ودائما ماتكتب في بداية الكتب القيمة، وتقرأ في بداية الأعمال الصالحة». يقول الإمام الشافعي (767 – 820 م)، أحد الأئمة الأربعة العظماء، «مع أن بسم الله الرحمن الرحيم آية واحدة، إلا أنها ذكرت مائة وأربع عشرة مرة في القرآن».

والرحمن في البسملة تعني «الرحمة التي تعم الكون كله»، في حين أن الرحيم تعني «رحمة محدودة النطاق لكنها تظهر مرارا وتكرارا». ولهذا، الرحمن هو الذي يظهر الرحمة بلا مقابل وبكثافة لجميع المخلوقات دون استثناء والرحيم هو الذي يظهر الرحمة كرد لأفعال البشر وإذا أظهرها بسخاء وبشكل متكرر فهو حليم.

يجب علينا أيضا أن نتذكر أن الله أرسل نبيه محمد عليه الصلاة والسلام «رحمة للعالمين» [ي. علي، 21.107]. وخلال حياته، قدم عليه الصلاة والسلام لأتباعه أمثلة رائعة عن كيف يمكن أن تكون الرحمة مصدرًا للمسؤولية الأخلاقية تجاه جميع المخلوقات. وبينما أصر على حماية الحيوانات ومعاملتها برفق، علم أيضًا بأفعاله وأقواله أنه يجب على المسلمين التصرف بلطف تجاه جميع الكائنات الحية. قال عليه الصلاة والسلام: «**الرَّاحِمونَ يرحَمُهم الرَّحمنُ تبارَك وتعالى؛ ارحَموا مَن في الأرضِ يرحَمْكم مَن في السَّماءِ**» [الترمذي، بر، 16]. أمر النبي بعدم تخريب أعشاش الطيور أو سرقة بيضها أو كتاكيتها. كما أمر شخصًا كان قد ملأ جعبته بفراخ مأخوذة من الأعشاش جلبها إلى المدينة، بإعادتها إلى أعشاشها على الفور. كما حذر عليه الصلاة والسلام المسلمين من إساءة معاملة الحيوانات، «**أَدْخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ في هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تُطْعِمْهَا، ولَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِن خَشَاشِ الأَرْضِ**» [البخاري، أذان 90 1. 181 – 2، مسلم، بر: 133، 3. 2022]. بالإضافة إلى ذلك، فإن النبي عليه الصلاة والسلام روى مثالًا رائعًا ومفيدًا لكيف يمكن أن تحفز الرحمة الإنسان إلى القيام بالأعمال الأخلاقية حيث أنه استخدم لتوضيح ذلك البئر في أحد أحاديثه.

«**بينما رجلٌ يمشي بطريقٍ فاشتَدَّ عليه العَطَشُ، فوجد بئرًا فنزل فيها فشَرِب، ثمَّ خرج فإذا كلبٌ يَلْهَثُ يأكُلُ الثَّرى من العطَشِ، فقال الرجلُ: لقد بلغ هذا الكَلْبَ مِنَ العَطَشِ مِثلُ الذي كان بلغني، فنزل البئرَ فملأَ خُفَّه فأمسكه بفيه حتى رَقِيَ فسقى الكلبَ، فشَكَرَ اللهُ له فغفَرَ له، فقالوا: يا رسولَ اللهِ، وإن لنا في البهائِمِ لأجرًا؟ فقال: في كُلِّ ذاتِ كَبِدٍ رَطْبةٍ**

د. إبراهيم أوزدمير

أجرٌ» [البخاري، مساقات 77، III، 9؛ جونسون ديفيز 1994، ص. 10].
يقول نعمان الحق «الأجر يكمن في الإعتناء بكل ماهو حي» وهو ما يجب اعتباره مبدأً عريضًا أساسيًا لأخلاقيات الإسلام تجاه البيئة [الحق، 112].
والأهم من ذلك هو التساؤل عن الدافع الذي دفع الرجل إلى النزول إلى أسفل البئر و احضار الماء للكلب. إنه لا شيء سوى الرحمة والشعور العاطفي الفوري الذي شعر به من قلبه تجاه الكلب المسكين. ثم عمم الرسول هذا العمل كقاعدة أخلاقية معيارية للرحمة والعناية بجميع المخلوقات. على الرغم من أن التضمين الأخلاقي لهذه القصة في أخلاقيات الرحمة أهمل من قبل علماء الأخلاق الكلاسيكيون، إلا أن الروايات الإسلامية للعباد المسلمين تكثر في حكايات الشفقة تجاه الحيوانات (بما في ذلك الكلب المحتقر) والطيور وحتى الحشرات [نيكولسون، 77]. ويكفي لهدفنا هنا أن نذكر، ولو بإيجاز شديد، مثالين.

رابعة العدوية (801–714/17) هي أشهر عابدة في الإسلام تختلف عن الصوفيين الأوائل الذين كانوا مجرد زهاد ونساك في أنها كانت صوفية بحق، يدفعها حب قوي دفاق، كما كانت في طليعة الصوفية الذين قالوا بالحب الخالص، الحب الذي لا تقيده رغبة سوى حب الله وحده. رابعة بتعاملها مع الخليقة كلها برحمة تمت مكافأتها بصداقة الحيوانات. فقد قيل بأن ذات يوم ذهبت رابعة إلى الجبل وقطعان من الحيوانات البرية تجمعت حولها ثم ظهر حسن وفرت الحيوانات فغضب وسأل رابعة: لماذا فروا مني ولا يفرون منكي بل يصادقونكي؟ فسألته رابعة عما أكل في ذلك اليوم فأجابها: البصل المقلي بالدهن. فقالت: «لقد أكلت دهونهم» وأكدت «فكيف لا يهربون منك؟» [هيلمز، 12؛ سميث؛ شيميل، 38–39].
المثال الثاني هو ابو يزيد البسطامي (بايزيد بسطامي، توفي عام 875م) ويعتبر واحدًا من أوائل المفكرين الصوفيين فقد قام في يوم من الأيام بشراء بعض بذور الهيل في سوق مدينة همدان، وقبل مغادرته الى مدينته (بسطام) وضع بعض البذور المتبقية في جبردينه (نوع من أنواع الأقمشة). عند وصوله إلى مسقط رأسه بسطام تذكر البذور، ولما فتح القماش وجد عليها نملًا. فقال «لقد حملت هذه المخلوقات الضعيفة بعيدًا عن منزلها»، فانطلق على الفور عائدًا الى سوق همدان قاطعًا مئات الأميال (724 كيلومترا). ما جعل أبويزيد يقوم بهذا الفعل هو الرحمة بجميع المخلوقات حبًا في الله [نيكلسون، المرجع نفسه؛ أجيكجينك، 491]. هذا الفهم نفسه يجد صدى له في شعر يونس إمري، شاعر صوفي من الأناضول عاش في القرن الثالث عشر. كان يعتقد أن كل ذرة في العالم، حية وغير حية، تظهر جمال وعظمة الله. يلخص يونس إمري فكرة الأخلاق القائمة على الحب والرحمة بقوله «نحب كل المخلوقات في الله» وهو بذلك يقترح مفهومًا جديدًا لأخلاقيات الحب والرحمة تجاه جميع المخلوقات.

الاستنتاج

خلق الله الكون وخلق فيه نظام دقيق متوازن وتركيبة جميلة. لذلك، كل شيء في الكون يحمل معنى وارتباط. فالقرآن يرى في النحلة الصغيرة البسيطة متلقيًا للإلهام الإلهي، ويدعو القارئ باستمرار إلى التفكر في التغيير الدائم للرياح، وتناوب النهار والليل، والسحب، والسماء المليئة بالنجوم، والكواكب التي تسبح في الفضاء اللامتناهي.
بما أن القرآن هو كتاب منزل من الله، فإن الكون هو كتاب كبير خلقه الله. وعندما يتفكر الإنسان في الكون بقلب يقظ، يرى أن الكون مرآة تعكس جمال وعظمة الخالق. ويرى ترابط المخلوقات مع بعضها البعض بحيث تشكل نظامًا واحدًا. لذلك، فإن الذرة والنحلة لهما نفس الدور أو دور متشابه في كتاب الكون. و «القوة الإلهية» تتجلى في كل من «العالم الكبير» و «العالم المصغر».
علاوة على ذلك، في هذا الكون الرائع، كل شيء يصلي ويسبح بحمد الله بلغته الخاصة كما جاء في القرآن الكريم:
«أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ» (سورة الحج، الآية 18).
لذلك، في هذا الكون الرائع والهادف، لا يمكن للبشر أن يكونوا بلا معنى، بلا هدف، وبلا مفعول. فهم خلفاء الله ويحملون مسؤوليات تجاه الله والبشر وبقية الخليقة.
وخلاصة القول أن الرحمة والشفقة قيمتان عالميتان تتحلى بهما جميع المخلوقات. وجود الرحمة الإلهية وحقيقتها واضحة كالشمس. لذلك، إن الرحمة التي نراها ليست فقط في الإنسان ولكن أيضًا في الحيوانات والنباتات، هي انعكاس ودليل على الرحمة الشاملة، على رحمة الله.
لذلك، أقول هنا أنه من خلال هذا التحليل والنظر في أخلاقيات الرحمة، قد نتجاوز حدود الأخلاق الكلاسيكية ونقترح تصورًا جديدًا للأخلاق قائمًا على الرحمة والتعاطف والحب للكوكب وجميع الكائنات الحية.

المنتدى الإسلامي العالمي السادس عشر "ثقافة اللقاء: الأخلاق الدينية في زمن الجائحة"

البيــان الختــامــي

اتفق المشاركون في الاجتماع السنوي للمنتدى الإسلامي العالمي السادس عشر، المنعقد تحت شعار «ثقافة اللقاء: الأخلاق الدينية في زمن الجائحة»، والذي جمع في 10 ديسمبر 2020 م، متحدثين من عشرات الدول، في مؤتمرٍ افتراضيٍ عبر تقنية الإتصال المرئي، على الآتي:

يشيد المشاركون في المنتدى الإسلامي العالمي السادس عشر بعبقرية المفكر البارز أبو نصر الفارابي، والذي يُحتَفَلُ بالذكرى الـ 1150 لميلاده هذا العام 2020م، ومساهماته القيمة في إغناء المعرفة العالمية، مؤكدين على أهمية دراسة ونشر تراثه الإبداعي بين المعاصرين، بغض النظر عن معتقداتهم الدينية.

وفي محاولةٍ لفهم المعنى الروحي لوباء فيروس COVID-19، وما يحمله من المصاعب والقيود والمخاطر على صحة الإنسان ورفاهيته. ركز المتحدثون على الوباء باعتباره اختباراً لروحانية وأخلاقيات كل من الفرد والجماعات الدينية والمجتمعات المدنية، وكذلك باعتباره فرصةً لإعادة التفكير في علاقتهم مع الخالق والعالم من حولهم، وفهم أعماقٍ جديدةٍ من التأملات والتجارب الروحية، على اعتبار أن الجائحة إلى جانب المخاطر والمصاعب والقيود، فإنها تشكل مرحلةً للتكفير عن الخطايا والتطهير الأخلاقي وتحسين الذات.

لاحظ المشاركون أثناء الجائحة مستوىً عالياً من مشاعر التضامن والتعاطف والرأفة، وكذلك ظهور بعض الشمائل كالنوايا الحسنة والإيثار، والتي تتميز بها المجتمعات المسلمة في جميع أنحاء العالم. الأمر الذي يتضح من خلال المستوى العالي من الإمتثال للتعليمات والضوابط الصحية الخاصة بمكافحة فيروس كورونا في المساجد والمواقع الدينية الإسلامية الأخرى، وإبداء المرونة في تكيف الممارسات اليومية للشعائر والعبادات مع حقائق الوباء، وتحويل المواقع الإسلامية إلى مراكز لتقديم الدعم والمساعدة الاجتماعية في المجتمعات حول العالم.

ولعل الرغبة والاستعداد التي امتازت بها استجابة ملايين الأشخاص حول العالم للإنخراط في برامج العمل التطوعية والاجتماعية، والمشاركة الودية في الأنشطة الخيرية، هو خير دليل على الحاجة الماسة للمجتمع البشري بأسره لإحياء وترسيخ المبادئ الإنسانية المبنية على الرحمة والتعاطف في المجتمعات.

إلى جانب ذلك، أصبح الوباء دافعاً لتعميق الريبة وانعدام الثقة وسوء التفاهم المتبادل، وتفاقم المشاعر المعادية للإسلام في جميع أنحاء العالم. وأصبحت الطبيعة اللانمطية للحياة اليومية، وحالة الأوضاع الطارئة التي فرضتها الحاجة إلى مواجهة الوباء بمثابة ستارة تستتر خلفها الإنتهاكات المستمرة لحقوق المسلمين، وفي بعض الحالات سياسات التمييز المتنامية ضدهم. وهذا متعلق بوضع المجتمعات المسلمة في الصين وميانمار. وكذلك تلكم الممارسات التي تبعث القلق لدى ممثلي الديانات الإبراهيمية والمتعلقة بقضية الحرق القسري لجثث الأشخاص الذين لقوا حتفهم نتيجة أصابتهم بفيروس كورونا في سريلانكا.

وبناءً على ما تم ذكره أعلاه، فإن المشاركين في المنتدى الإسلامي العالمي السادس عشر يعتبرون تطوير الحوار بين الأديان ليس فقط مجرد إقامة علاقة ثنائية بين طرفين ممثلين بشخص منظمات دينية محددة، بل هو خدمةٌ مشتركة، وعملٌ على مسار الأنسنة العامة للخطاب الاجتماعي والسياسي، وتوسيع فضاء القيم والمبادرات الإنسانية وأفكار المحبة والإحترام المتبادل بين الشعوب والأديان في حياة المجتمعات.

ويعلن المشاركون في المنتدى الإسلامي العالمي السادس عشر عن عزمهم عقد الاجتماع السنوي السابع عشر المقبل للمنتدى، عام 2021م، في مدينة روما، وبعد ذلك سيَعقِدُ المنتدى الإسلامي العالمي اجتماعهُ الثامن عشر في مدينة موسكو، والذي سيكرس للاحتفال بالذكرى الـ 1100 لدخول بلقار حوض الفولغا رسميًا في الإسلام.

التوافق بين الأديان كطريق مشترك للنجاة والإبداع

أ.د. ضمير محيي الدين،
السكرتير المسؤول للمنتدى الإسلامي العالمي،
رئيس تحرير مجلة "منارة الإسلام"،
أستاذ في جامعة سانت بطرسبورغ الحكومية،
دكتور في علوم الإلهيات

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز:
«فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِين» (سورة المائدة، الآية 30).

وجاء في الإنجيل:
«فَإِنْ قَدَّمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبَحِ، وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لأَخِيكَ شَيْئًا عَلَيْكَ، فَاتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قُدَّامَ الْمَذْبَحِ، وَاذْهَبْ أَوَّلًا اصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ، وَحِينَئِذٍ تَعَالَ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ» (إنجيل متى 5: 23–24).

بسم الله الرحمن الرحيم

مع حلول عيد الميلاد المجيد، أتوجه بكل السعادة الصادقة إلى جميع أصحاب النوايا الحسنة، لأقدم ترجمة الرسالة العامة الثالثة لقداسة البابا فرنسيس، بعنوان: فراتيللي توتي، «جميعنا إخوة»، والمكرسة للأخوة الإنسانية والصداقة الإجتماعية، إلى اللغة الروسية.

قد يكون من الطبيعي تماماً، أن يتوارد إلى خاطر البعض سؤال كهذا: لماذا يتصدى رجل دين مسلم لكتابة مقدمة لرسالة قداسة بابا الفاتيكان؟ ولربما يكون من السليم الإجابة على هذا السؤال من البداية. وسترون معي أن هذه الإجابة المباشرة، هي مقدمة طبيعية لمحتوى هذه الرسالة العامة.

لقد ظل سائداً لفترة طويلة بين المدافعين عن الإسلام، رأيٌ يقول بأن المسيحية كانت تميل إلى المبالغة في الجانب «الروحاني» للحياة البشرية على حساب جانبها «الدنيوي». ومن ناحية أخرى، تم تفسير الإسلام على أنه منظور مثالي يجمع بين الأبعاد «الدينية» و «الاجتماعية - السياسية» بشكل متناغم. أما أنا، فإنني على قناعة بأن هذا التفسير مبني على سوء فهم. وهذا بالضبط ما يجعل جوهر الأمر بسيطاً إلى حد كبير.

بالطبع، في هذا الصدد، يقدم الإسلام والمسيحية شكلاً مختلفاً بعض الشيء من حيث التركيز على هذه الجوانب، لكن كلتا الديانتان تعتبران نفسيهما مدعوتان لتغيير جميع جوانب الحياة على الأرض. فالأنثروبولوجيا المسيحية، تعتبر الإنسان اتحادًا غريبًا وغامضًا غير قابل للفصل بين الروح والجسد، حيث تميز الأخير عن «الجسد الخطيئة»، وتحدد مسبقاً تعاليم الكنيسة فيما يتعلق بالقيامة الجسدية النهائية.

أما الإسلام، فهو بدوره يؤكد على عالميته في رفضه فصل «الدنيوي» عن «الروحاني»، وقد لا يبدو غريباً تماماً التمييز بين هذه الجوانب – على الأقل من حيث العبادة (العبادات)، والعلاقات الاجتماعية (المعاملات).

في الواقع، فإن الإعتقاد بأن الروح مجرد تائه «هائم» في هذا العالم لا يعني بالضرورة الحكم بالأنانية الروحية أو «الخلاص الذاتي» (ن، أ، برديابيف). ولعل هذا الإيمان قادر على أن يدفعنا إلى خدمة من هم موجودين بالقرب منا، خدمةً مخلصةً تتجلى فيها بحق نكران الذات ـ خدمةً تكون الدليل الأكثر موثوقية على تواضعنا أمام الله. ويمكن أن يتفق مع هذا المسيحيين والمسلمين على حد سواء.

وبالتالي، يجب على المسلم ألا ينسى أن احترام كرامة الإنسان وحقوقه الراسخة، هو عنصر أساسي لإحترام حقوق الله. ومن هنا يتضح لنا سبب استبدال الفترة المكيّة من الرسالة النبوية، والتي كانت تدعو إلى حماية الأيتام والفقراء والمرضى، فضلاً عن تميزها أيضاً بدعوتها للسلام، بحقبة المدينة المنورة التي تميزت بتنظيمها السياسي للمجتمع الإسلامي. ويمكننا القول بأن الفترة الأخيرة «المدينة المنورة» ليست مجرد استبدال أو إلغاء أو تجاوز للفترة الأولى «المكيّة»، ولكنها أيضاً طريقة محددة وتاريخية لتحقيق المثل العليا المعلنة في مكة.

ومع ذلك، لو أردنا تحديد طبيعة هذه الطريقة المحددة والتاريخية مع البرنامج السياسي الإسلامي على عجالة، يمكننا القول: إن الإستعداد لتكوين سياق «دنيوي» يوفر للشخص تحقيق ذاته بشكل أفضل، بما في ذلك تعليم الفضائل القيمة في ضوء الحياة الآتية، لا يساوي تحول الإسلام إلى نموذج معين من الحكم.

ومن خلال المراقبة على مدى سنوات عديدة لآثار الاستغلال الديني من جانب مجموعات مختلفة حول العالم، فقد بدأنا نفهم وبشكل أكثر وضوحاً، كيف يمكن للعلاقة المباشرة والصريحة للغاية بين «الدنيوي» و «الروحي» أن تلحق الضرر بعالمية الدين الداخلية.

و ربما، بالنسبة للمؤمنين المسلمين، وبنفس الدرجة بالنسبة للمؤمنين من

المسيحيين، فإن محتوى تعاليم الوحي يعمل على توجيه أي نشاط اجتماعي سياسي بشكل متزامن، ولا يقتصر عليه. وبعبارة أخرى، فإنه يحتفظ بأهميته الدائمة، متهرباً من المساواة مع معاني وقيم أحداث سياسية معينة. إذاً كيف يمكن أن تكون ترجمة وثيقة الكنيسة الكاثوليكية هذه ذات أهمية بالنسبة للمسلم؟ الإجابة بسيطة: بالإضافة إلى تأملات قداسة البابا فرانسيس ذاتها، والتي سنناقشها لاحقاً، هناك فرصة أمام المرء لأن يفهم دينه بشكل أفضل، ورؤية هذا الدين من جوانب غير متوقعة. والتحرر من التحيز تجاه الآخرين يعزز قدراً أكبر من حرية الفكر، الأمر الذي سيؤدي حتماً إلى التحرر من التحيز تجاه الذات. فالفهم الأفضل لأنفسنا لن يمر دون أن يؤثر بالطريقة التي يفهمنا بها الآخرون. هذا الفهم المتبادل (ليس فقط مع الآخر، ولكن قبل كل شيء مع الذات) يحدث خلال «اللقاء» مع الآخر. وحول موضوع اللقاء بالذات يدور الحديث في الرسالة العامة «فراتيللي توتي».

وهذه الرسالة العامة، وفقاً لقداسة البابا فرانسيس، مستوحاة من اللقاء الذي جمعه مع إنسان مسلم، فضيلة الإمام الأكبر أحمد الطيب، شيخ الأزهر الشريف، ويمكن قراءة المزيد عن هذا في نص الرسالة العامة. ونلاحظ هنا، أن هذا اللقاء يختلف عن المواجهة، والاصطدام العدائي، وكذلك يختلف عن مجرد التواصل دون معنى، والذي عادة ما يتكون حصرياً من صيغ جاهزة من المجاملات[1].

فاللقاء يعني الإهتمام بهموم الآخرين وأفراحهم، إنه تبادل مثمر، إنه القدرة على الاستماع. وبعبارة أخرى، اللقاء مع الآخر في طريقك يتطلب منك الإعتراف بالإختلاف، الذي لا يصل إلى نقطة المجابهة «التضاد»، وكذلك الإعتراف بالمشتركات الذي لا تصل إلى نقطة التعميم[2]. حيث كتب قداسة البابا فرانسيس:

«مثلما لا يمكن أن يكون هناك حوار مع «الآخرين» بدون أن تعي هويتك، لا يمكن أن يكون هناك انفتاح بين الشعوب، إلا على أساس الحب لأرضهم وشعبهم وجذورهم الثقافية الخاصة بهم. ولا يمكن أن يحدث لقاء حقيقي مع الآخر إلا إذا كُنتُ واقفاً بثبات على الأرض. هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكنني من خلالها قبول الهدية التي يقدمها الآخر، وفي المقابل، أقدم له شيئاً أصلياً خاصاً بي».

ولعل المتحاورون في إطار الحوار، وخاصة الحوار بين الأديان، يعرفون أين يقفون. إنهم يأملون أن يسهم الآخر في فهم أفضل لأنفسهم، لكنهم بعيدون عن الإرتباك المخزي، والإستيلاء والإقصاء الوقح. والحوار أثناء اللقاء يكون حواراً بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، عندما يستطيع كلا المشاركين تقديم شعاراً ما، ويكون لكلٍ كلمته، ومعناه، وحقيقته. ومنح مثل هذه الحرية للآخر. والآخر هو شريك، وليس نسخة (شاحبة) مني.

إن التنوع الثقافي والديني هو لغز محدد من الله. والإختلاف في التقاليد الدينية هي مشيئة الله، وهذا الإختلاف يحتفظ ببعض الحقيقة الغامضة، والوحدة السطحية تحمل في طياتها وحدة زائفة (بقدر ما تكون توفيقية). يقول القرآن الكريم:

«وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» (سورة المائدة، الآية 84).

لذا، فإن اللقاء الحقيقي يفترض مسبقاً وجود محاورين مختلفين، ليسو غرباء عن الشيء المشترك، وليسو «نسختين» من الشيء نفسه. بحيث يوفر اللقاء في إطار الحوار بين الأديان ديناميكية الإيمان، ويؤدي إلى كشف أعمق لتقاليد المرء الدينية، وإلى إعلان الحقيقة المعترف بها، بما في ذلك بالأفعال. في الوقت نفسه، أنا بعيد كل البعد عن التفكير في أن المجتمعات المسيحية والإسلامية يمكن أن تتعاون بشكل حصري في مجال المشاريع الإجتماعية والخيرية والإنسانية. وعلى الأرجح فإن ثمار التعاون في هذا المستوى يعتمد على اللقاء على مستوى أكثر جوهرية – أي على تصور جاد للخصائص اللاهوتية للتعاليم الدينية لشريكنا في هذا الحوار.

وهنا لا يجب أن نقوم بتلطيف «إصلاح» أي شيء، ويجب أن لا نجبر أنفسنا على القبول بحل وسط عنيف، بحيث نتوقف عن أن نكون مشابهين لأنفسنا، ولكن يجب علينا أن نجد مكاناً لهذا الآخر في نموذج تفكيرنا الديني. وأعني بـ «إيجاد مكان» قبول التقوى الحقيقية (التقوى[3]) من قبل حامل التقليد الديني الآخر، وصدق حماسته المتأصلة، وإمكانية الإيمان الحقيقي بالله في إطار هذا التقليد.

في التقليد الكاثوليكي، تم اتخاذ خطوة حاسمة نحو التصور الجاد للآخر كمحاور في سياق إعلان المجلس الفاتيكاني الثاني Nostra aetate – «في عصرنا» (1965)[4]، حيث تنص الفقرة الثالثة منه (أقتبسها بالكامل):

«كما تحترم الكنيسة المسلمين الذين يعبدون الإله الواحد الحي القيوم، الرحيم والقدير، خالق السماء والأرض، الذي يخاطب الناس، أؤلئك الساعين بإخلاص إلى طاعة الله، بحسب محدداتهم لله، حتى السرية منها، كما أطاع

[1] «أندريه جورافسكي: الحوار هو لقاء، هو حديث روحي، ولكنه في الوقت ذاته، لا يمكن أن يكون بأي حال من الأحوال لقاءً دبلوماسياً، أومحادثة بهدف الإتفاق على شيء ما، أو الإلتزم بشيء ما. وبمعنى آخر، فإن الحوار لا يمكن أن يكون بأي حال من الأحوال تسوية أو توافق؛ ففي الحوار، لا يتوجب علينا أن نجتهد للتوصل إلى رأي مشترك. لذلك، يجب أن يكون الحوار اتصالاً حيوياً وشخصياً بين «أنا» و«أنت»، وليس بين «أنا» و«هو». ولكن لكي يصبح هذا التواصل ممكناً، من الضروري وجود استعداد لمعرفة وفهم الآخر». – «إلهنا وإلهك واحد»// مجلة منارة الإسلام، العدد 8، دار «المدينة» للنشر، 2006م.

[2] «يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا .....»(سورة الحجرات، الآية 13).

[3] ..... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» (سورة الحجرات، الآية 13).

[4] لمزيد من التفاصيل انظر: مجلة منارة الإسلام، العدد رقم 1-2. دار النشر «مدينة» 2008م.

القاصد الرسولي لدى روسيا، رئيس الأساقفة جيوفاني داجنيلو يلقي كلمته خلال عرض الترجمة الروسية لرسالة البابا فرانسيس

باولو بيزي،
رئيس مجلس الأساقفة الكاثوليك في روسيا

أدولف شايفيتش،
الحاخام الأكبر في روسيا (مؤتمر المنظمات والجمعيات الدينية اليهودية في روسيا)

هيرومونك غريغوري ماتروسوف،
رئيس مجلس التعاون مع العالم الإسلامي تحت إدارة
البطريرك كيريل (الكنيسة الأرثوذكسية الروسية)

أ.د. ضمير محيي الدين أثناء خطابه خلال عرض الترجمة الروسية
للرسالة الثالثة للبابا فرانسيس "فراتيللي توتي" "جميعنا إخوة"

إيلدار علاء الدين،
نائب رئيس الادارة الدينية لمسلمي روسيا الاتحادية، مفتي موسكو

هارون جورفيتش،
الحاخام العسكري الأول لروسيا (اتحاد المجتمعات اليهودية في روسيا)

فاليري غازاييف،
رئيس لجنة شؤون القوميات بمجلس الدوما

سيرجي ميلنيكوف،
رئيس الجمعية الروسية للدفاع عن الحرية الدينية

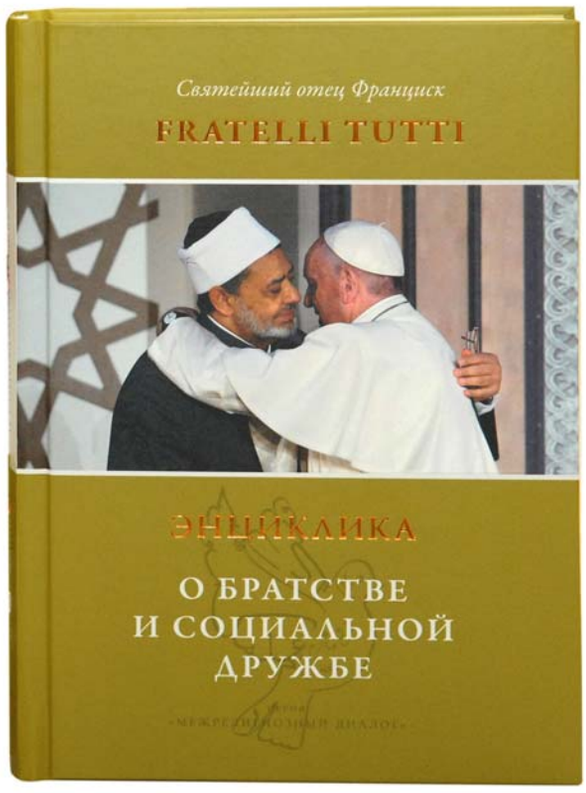

الترجمة الروسية لرسالة البابا فرانسيس "فراتيللي توتي"، "جميعنا إخوة"

إبراهيم الله، والذي تستند إليه العقيدة الإسلامية بشكل كبير. وعلى الرغم من أن أتباع الإسلام لا يعترفون بأن يسوع هو الله، إلا أنهم يبجلونه كنبي ويبجلون أمه مريم العذراء، ويصفونها بالورع. بالإضافة إلى ذلك، فإنهم يؤمنون بيوم الحساب، الذي يجازي الله فيه جميع الناس المبعوثين «بعد القيامة». لذلك، فإنهم يقدرون الحياة الأخلاقية ويبجلون الله عالياً بالصلاة والصدقة والصوم.

وعلى الرغم من ظهور خلافات كثيرة وعداء بين المسيحيين والمسلمين على مر القرون، فإن المجمع المقدس يدعو الجميع إلى ترك الماضي في طي النسيان والسعي بإخلاص من أجل ايجاد التفاهم المتبادل، وكذلك المشاركة في حماية ودعم العدالة الإجتماعية والقيم الأخلاقية والسلام والحرية لجميع الناس».

إن احترام المسلمين يقتضي احترام من يتخذه المجتمع المسلم مثالاً لهم — من قدم له «أنموذجاً رائعاً»، أي محمد (صلى الله عليه وسلم): **«لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً»** (سورة الأحزاب، الآية 12).

وبلا شك، لقد حدثت تحولات معينة في تفسير دور ومكانة محمد (صلى الله عليه وسلم) في التقليد الكاثوليكي. وهكذا تمت الإشارة إلى إمكانية الإعتراف بنعمة النبوة لمحمد (صلى الله عليه وسلم)، ونعمة القرآن – بأنها «عناصر» الوحي الإلهي.

ومع ذلك، لا بد لنا من تفسير هذه النقاط بشكل صحيح: بالنسبة للكاثوليك، لا يمكن أن يكون هناك حديث حول اعتراف رسمي بمحمد (صلى الله عليه وسلم) كنبي على مستوى عقيدة الكنيسة.

وببساطة يمكن القول، بأن عدم وجود حواجز عقدية «عقائدية» أمام قبول استمرار نعمة النبوة بعد الرسالة الأرضية لعيسى (عليه السلام)، لا يتطابق مع وجود أساس عقائدي للإعتراف (كعنصر من مكونات عقيدة الكنيسة) الفعلي بالرسالة النبوية لمحمد (صلى الله عليه وسلم).

بالإضافة إلى ذلك، حتى الإعتراف بمقام النبوة لمحمد (صلى الله عليه وسلم) من قبل بعض علماء الدين المسيحيين لا يعطي أي دليل ذاتي على ما تعنيه كلمة «نبوي» في هذه الحالة. هنا نجد شيء وحيد وواضح: «النبوة» ستُفهم بشكل مختلف عن الطريقة التي تُفهم بها في التقليد الإسلامي، حيث يقدم لنا القس الكاثوليكي والعالم الإسلامي كريستيان ترول (مواليد 1937)، التفسير التالي:

«تماماً كما لا يحق للمسيحي أن يطلب من مسلم يرغب في المشاركة بالحوار، بأن يؤمن بأن يسوع المسيح هو ابن الله، كذلك لا يمكن للمسلم أن يضع أمام المسيحي شرطاً لإجراء الحوار، بأن يؤمن أن محمداً هو «خاتم الأنبياء»، وبأن القرآن هو المعيار غير المشروط لجميع الكتب المقدسة. وإلا فإن هذا يعني أن على المسيحي أن يصبح مسلماً قبل أن يبدأ أي حوار بين الأديان، والعكس صحيح. وإذا كان الأمر كذلك، فلن يتم إجراء أي حوار بين الأديان»[5].

ويتابع:

إذا أُعطِيَ مفهوم «النبي» معنىً مطلقاً، فإنه يشير إلى الشخص الذي تتمتع كلماته، المُعلن عنها باسم الله، بالسلطة الإلهية بالكامل، وتتطلب طاعة عالمية. وبهذا المعنى، لا يستطيع المسيحيون الإعتراف بمؤسس الإسلام على أنه نبي. ولا يمكن للمسيحيين بصفتهم هذه أن يطيعوا محمداً ضمنياً، وإلا سيصبحون مسلمين.

إن الاعتراف بمحمد كنبي بالمعنى الدقيق للكلمة، يشير إلى ضرورة الإيمان بطاعته، وهذا أمر غير ممكن بالنسبة للمسيحيين. ويمكن للمسيحيين استخدام اسم «النبي» فيما يتعلق بمحمد، فقط مع وجود قيود، أي أنهم لا يستطيعون الإعتراف بكل ما قاله هذا النبي، لكنهم يستطيعون الإعتراف بشيء مما قاله، ورفض جزء آخر. ومن الواضح تماماً أن المسلمين، من جانبهم، يعتبرون أنه من المستهجن أي إمكانية لاتباع نهج انتقائي تجاه محمد، الذي يعتبرونه النبي الأخير والحقيقي»[6].

أعتقد أن مشكلة الخلاص، تلك المشكلة الدينية المركزية، تترك مجالاً أكبر

[5] ترول كريستيان. أسئلة المسلمين – إجابات المسيحيين. كييف: الروح والحرف، 2011م. ص 86.

[6] ترول كريستيان. أسئلة المسلمين – إجابات المسيحيين.

نسبياً للحوار بين الأديان على المستوى اللاهوتي الأساسي، لأن كل دين (على الأقل الدين الإبراهيمي) يعترف بنفسه كتاريخ خاص للخلاص.

في الواقع، بالكاد يمكن اعتبار «صاحب الجحيم» المستعد للحوار، شريكاً متساوياً في الحوار، وبالتالي فإن نجاح اللقاء مع مؤمن مختلف يعتمد على حل هذه المشكلة بشكل مباشر.

وبخلاف ذلك، سيقتصر كل هذا التفاعل على إقامة تحالفات قصيرة المدى، ومصالح نفعية متبادلة، ومواجهة أعداء مشتركين. ولا يمكن لاستراتيجية الحوار هذه أن تمنع «المنافسة التبشيرية» بالروح، وعلى حد تعبير كريستيان ترول، «التبشير غير اللبق».

أما عالم الدين الإسلامي الروسي موسى بيغييف (1875–1949)، فقد فهم بوضوح أن الحوار مع ممثلين عن تقليد ديني مختلف لا يمكن، ولا ينبغي أن يُبنى على أساس الإبتزاز والترهيب.

وإذا كان الإسلام مدعواً لإظهار تفرده للعالم، فعندئذ فقط على شكل الاتساع الفريد للدين، بعيداً كل البعد عن اللامبالاة الدينية أو النسبية، المدانة، من بين أمور أخرى، في الرسالة البابوية «فراتللي توتي».

في المقالات التي صدرت عام 1911م، بعنوان «براهين رحمة الله»، قدم بيغييف عدداً من الحجج التي تؤيد التمييز بين الرحمة العامة، الممنوحة افتراضياً، والرحمة الخاصة، والتي تُمنح كمكافأة على الإيمان الفعال بالرسالة النبوية لمحمد (عليه الصلاة والسلام).

وأول «نوع» من الرحمة مذكور في إحدى آيات القرآن الكريم: «**قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**» (سورة الأعراف، الآية 156).

وكما يوضح بيغييف، فإن هذا التمييز لا يتعارض مع حجج العقل أومحتوى القرآن والسنة. ويمكن لجميع المهتمين الرجوع مباشرة إلى نص هذه المقالة[7].

والإسلام مثل المسيحية، ليس تعليماً مجرداً، بل هو دليل لطريق روحي وأخلاقي، وطريق «الرحمة الشاملة» الذي أعلنه الإسلام يتكشف من خلال سياق اجتماعي. وإذا استخدمنا لغة التقليد الديني المسيحي، كتحقيق المحبّة أو الحب (ἀγάπη) — حب الإنسان الذي بجانبك والذي يتجسد على شكل اهتمام، أو رعاية، أو دعم ومساندة. وفي هذا الصدد، فإنني لا أجد فروقاً كبيرة بين الإسلام والمسيحية على مستوى «مبدأ العمل»، رغم اختلاف العوامل التاريخية والعملية المميزة.

واللقاء مع الفهم المسيحي للرحمة، والمتجذر في التقليد اليهودي[8]، تجده في صفحات الرسالة العامة لقداسة البابا فرانسيس. حيث يخبر بابا الفاتيكان القارئ عن التوسع التدريجي لـ «نطاق الفعل» لمبدأ حب من بجانبك: ابتداءً من أي فرد من شعبك، إلى أي شخص يمثل البشرية جمعاء.

نعمة الحب، التي يتحدث عنها قداسة البابا فرانسيس، هي شيء يختلف اختلافاً جوهرياً عن «المساواة» المجردة المنفردة في العلاقة. وفي الواقع، قد يتضح أن التوزيع المتساوي لـ «البرودة»، أي اللامبالاة العادية، هو شيء مماثل لهذه «المساواة». وبعبارة أخرى، يجب أن يبقى الحديث عن الحب وليس عن الحفاظ على اللامبالاة مع «انعدام الحب». بالإضافة إلى ذلك، لا ينبغي أن يتحول التقرب ممن هو قريب منا إلى هروب مألوف من أنفسنا، أو من «مجتمعنا»، الذي هو جزء من شخصيتنا. والحب العملي لا يقتصر على الشخص القريب من المرء على المستوى المحلي فقط، ولكنه لا يمكن أن يتهرب منه أيضاً.

ومن الأهمية بمكان أن نتذكر أن «الهيكلية» الإقتصادية والإجتماعية والسياسية للنظام العالمي تخدم تحقيق الحب والرحمة عندما تشكل سياقاً محلياً يمكن فيه لأي شخص أن يساعد من يتواجد بالقرب منه «مباشرة» – سواءً كان جاره أوعابر سبيل.

واليوم، تظهر الأيديولوجية القومية، بدورها، كرد فعل عدواني على النظام العالمي، الذي يدمر الروابط المحلية دون أن يقدم أي شيء في المقابل. وهكذا يتبين أن القومية نوع من المبالغة، أو نسخة كاذبة، للحياة الشعبية الصحيحة، المنظمة حول قضية مشتركة.

في عصرنا عندما يتم استعمار الفضاء الإجتماعي بأحايث وكلام عن الإدارة والاقتصاد، والتي تحذف مفاهيم التضامن وتوحيد القيم من الخطاب العام[9]، عندها تكون رسائل الشخصيات الدينية المؤثرة والفاعلة ذات أهمية كبيرة. ولا يمكننا إهمال شيء ما، بإمكانه إحياء فكرة التضامن، تلك الفكرة التي تعتمد عليها قدرتنا على مقاومة «قوى الظلام»، والاتجاهات السلبية في المجالات الروحية والأخلاقية والسياسية والنفسية والعاطفية والعديد من المجالات الأخرى. وهذه «القوى المظلمة» تقود إلى تصحر العالم، وانقراض التطور الإبداعي الخلاق للإنسانية. والمجتمع الديني إما أن ينمو من أعماق الحياة العالمية، أو يخاطر بأن يصبح حالة من التشظي اللاديني.

لا يمكن جذب قلوب جديدة إلى المجتمع الديني إلا بالاعتماد على النطاق الكامل للثقافة الحديثة. ويتوجب السيطرة مرة أخرى على ما تم انتزاعه بعيداً عن المجال الروحي والأخلاق. حيث نجد أنه عند تملُّك الدين للحداثة سواء في الإسلام أو المسيحية على حد سواء، لا يستسلم الدين للعالم استسلام الجبناء، بل يواجهه وجهاً لوجه وبكل جرأة.

ومن خلال الجمع (بدون خلط) بين «الدنيوي» و «الروحاني» فإن الدين

[7] موسى بيغييف، براهين رحمة الله: دار «مدينة» للنشر، 2021م. (قيد الطباعة).

[8] «رحمة الإنسان على القريب، ورحمة الرب على كل البشر» (سير 12:18).

[9] هذا هو «التشخيص» للمجتمع المتسارع إلى العلمانية. لمزيد من التفاصيل انظر: هابرماس يو، الأسس ما قبل السياسية للدولة الديمقراطية القانونية؟ // هابرماس يو.، راتزينجر ي. (بنديكتوس السادس عشر). جدلية العلمنة. عن العقل والدين. منشورات معهد الكتاب المقدس واللاهوت للقديس أندرو الرسول، 2006م. ص 68–69.

يقوم بتغيير الحياة اليومية. بحيث أنه يعيد الشعور بالدعوة العالية التي تربط الإنسان بما هو إلهي، إلى المستوى الأساسي للوجود البشري – سواء كان ذلك في الفن أو السياسة أو الإقتصاد أو حتى في الحياة اليومية.

وعندما قبل المؤمنون هذا التكليف ـ بأن يكونو «خليفة الله» في الأرض، بحسب ما جاء في القرآن الكريم، أخذو يوجهون طاقاتهم، التي تزداد من وحي الغرباء، لعبادة الخالق. وهذا يعني من الناحية الإجتماعية، اتباع شريعه الخالق وتجسيد المُثل الدينية. أي أنه يعني التأكيد على أشياء هذا العالم في ضوء «الأشياء الأخيرة».

ولعل المخاطرة هي أحد «آخر الأشياء» هذه في عصرنا. فنحن نخدم المخاطرة كـ «إله في الأرض»، ونخلق منها صنماً جديداً. فالمخاطرة هي إله رهيب مُعاقِب، كلمة فيها «قدرة كبيرة»، يمكن استخدامها لدعوة الناس المعاصرين إلى الوحدة.

نحن نقوم بعبادة المخاطرة في «ليتورجيا الأمن»، وهنا أعبر على الطريقة المسيحية. وللمفارقة، نريد أن نحافظ على الحرية، من خلال رفض الحرية. ونتيجة لذلك، يزداد إحساسنا وشعورنا بإنعدام الأمن، وينحسر شعورنا بالأمان مع الزمن، على الرغم من أننا نبذل المزيد من أجل ترسيخ ذلك الأمان. وبالتالي بدون أن نضع حداً لعبادة المجازفة، لن نقترب من «الأشياء الأخيرة» الموحدة، والتي لا تزال قوتها التحويلية تساعدنا على تقليل المخاطر. فالطريقة الوحيدة لوضع حد لـ «دين المجازفة» هي من خلال العبادة والتقوى والضمير – أي ما يطلق عليه الإسلام اسم التقوى[10].

إن الخوف من الخطر الدنيوي لن يقود البشرية إلى التضامن الحقيقي. وبدلاً من ذلك، فهو يميل إلى إلحاق الضرر بأي تضامن من خلال تعزيز انعدام الثقة المتبادلة بين الناس. وببساطة، الأخوّة لن تتولد استجابةً للمخاطر. والمخاطرة غير كافية أبداً لتقوية أواصر الأخوة. وهنا يؤكد قداسة البابا فرانسيس على الفرق بين «أخلاقيات الخوف» و«أخلاقيات التضامن»: يمكننا أن نسعى جاهدين من أجل الوصول على عالم يتم فيه توفير الأرض والسكن والعمل للجميع. وهذا هو الطريق الصحيح للسلام، مقابل الإستراتيجية الحمقاء قصيرة النظر لنشر الخوف وانعدام الثقة في مواجهة التهديدات الخارجية. وفي النهاية، لا يمكن تحقيق سلام حقيقي ودائم إلا «على أساس أخلاقيات عالمية للتضامن والتعاون من أجل مستقبل يقوم على الترابط والمسؤولية المشتركة للبشرية جمعاء».

لقد وجه بعض النقاد انتقاداً لقداسة البابا فرانسيس، بابا الفاتيكان، مفاده أن رسالته العامة لم تتطرق عملياً إلى مسائل العقيدة وكانت عبارة عن نوع من البيانات الإجتماعية والسياسية. وأعتقد أن هذه الإدعاءات تشير إلى تحيز معين وتفتقر إلى الأسس الوجيهة: فالبابا فرانسيس يفكر بطريقة سياسية، لكنه لا يكتب كسياسي بالمعنى الضيق للكلمة، ولكنه يكتب كمرشد، وكاهن، وكسلطة دينية. وعلى وجه الخصوص، فهو يواصل الحوار بين الأديان بما يتماشى مع المجمع الفاتيكاني الثاني، حيث تم تحديد الحدود العقائدية الأساسية بوضوح من أجل التواصل المثمر والبناء مع المسلمين. ولا أظن أن تستطيع الكنيسة الكاثوليكية الذهاب إلى أبعد من ذلك في الوقت القريب. لقد حان الوقت لإتخاذ إجراءات ملموسة، واتخاذ خطوات بالإتجاه المقابل.

وعلى المستوى العالمي، لا شك في أن ما يعوق هذا الأمر هو الخصوصية المؤسساتية: فالمسلمون على عكس الكاثوليك، لا يمتلكون قيادة موحدة واضحة على مستوى العالم، وهم مضطرون إلى إقامة علاقات مع المسيحيين على مستوى المنظمات بشكل منفرد.

وقد أعرب الزعيم الديني لمسلمي روسيا، سماحة المفتي الشيخ راوي عين الدين، خلال كلمته التي ألقاها في المنتدى الإسلامي العالمي السادس عشر، عن موقفه من الرسالة العامة التاريخية لقداسة البابا فرانسيس:

«... الأفكار المركزية التي وردت في الرسالة العامة تتوافق إلى حد كبير مع القيم الأساسية للإسلام وتراثه الفكري. وبطبيعة الحال، فإن الرسالة التي تحملها الرسالة العامة، تتوافق مع المواقف التي يتم صياغتها والدفاع عنها في جميع منصات النقاش الدولية: في موسكو ولندن وهلسنكي وبرلين وباريس. وإننا إذ نؤيد ونرحب بشكل كامل بالمبادرة الأخوية للبابا فرانسيس، كتعبير عن التضامن والوئام، فإننا نشير إلى أن عبارة «ثقافة اللقاء» تنعكس في عنوان المنتدى الإسلامي العالمي السادس عشر».[11]

ولعل الكنيسة والأمة الإسلامية، يمتلكان بداخلهما واجب الحفاظ على حقيقة الوحي الإلهي ضمن سياق العصر، والذي يتحقق بواسطة التفسير المتجدد للإيمان. وضمن أكثر مشاريع الحضارة جنوناً، وفي جو الأزمات الرهيبة، يستطيع الإنسان أن يصمد بفضل معجزة الإيمان.

وهكذا، فإن تجديد الإيمان هو أهم عملية اجتماعية، وأهم ثورة سياسية، لأن أهميتها تتجاوز حدود السياسة بكثير. وبالتالي، فإن تسييس الإيمان، بدوره، يقلل من إمكاناته السياسية، وأسوأ أشكال تسييس الإيمان، هو عدم تسييسه للنهاية «بشكل كامل». وهذا ما تذكرنا به الرسالة البابوية فراتيللي توتي – «جميعنا إخوة».

في الختام، أود أن أتقدم إلى المسيحيين في جميع أنحاء العالم بالتهنئة القلبية بعيد ميلاد كلمة الله – عيسى بن مريم – وأتضرع إلى الله رب العالمين بالدعاء بأن يمنَّ برحمته الواسعة الشاملة على جميع أبنائه إلى يوم الدين. عسى الله أن يغفر لنا ويهدنا إلى طريق الحق والسلام! ✹

[10] حتى أن المفكر الإسلامي البارز فضل الرحمن (1919–1988) يفضل الحديث عن دور الضمير المركزي من وجهة نظر المسلمين في التفاعل مع «الواقع الأعلى». انظر: الرحمن ف. المحاور الأساسية للقرآن. دار «المدينة» للنشر، 2021م. (قيد الطباعة).ص 73.

[11] يمكنكم الاطلاع على التسجيل الكامل للكلمة من خلال الرابط: http://dumrf.ru/media/video/18175

رسالة البابا فرانسيس عن ترجمة رسالته المعنونة بـ "فراتيللي توتي"، "جميعنا إخوة"

البابا فرانسيس،
رئيس دولة الفاتيكان والكنيسة الرومانية الكاثوليكية

الإخوة والأخوات الأعزاء،

لقد تلقيت نبأ سارًا ومبهجًا بأن الرسالة العامة «جميعنا إخوة» قد ترجمت إلى اللغة الروسية وسيتم عرضها في موسكو في المركز الثقافي «بوابة بوكروفسكي». بفضل هذه الترجمة، ستصبح الرسالة متاحة للعديد من الناس من ذوي النوايا الحسنة الذين يرغبون في مقارنة أفكارهم بنص الرسالة.

كما سرني وأدهشني أن يكون المنتدى الإسلامي العالمي هو الذي أعد هذه الترجمة. أعتقد أن التأملات والحوارات حول هذه الرسالة العامة يمكن أن تكون مفيدة ليس فقط في روسيا الاتحادية، حيث الحوار بين المسيحيين والمسلمين مطالب بالنمو، ولكن أيضًا في المجتمع البشري بأكمله. في الواقع، في العالم المعولم والمترابط الذي نعيش فيه، أي عمل يقام به في أحد الزوايا يجد صدىً وردودًا في بقية الزوايا الأخرى.

بالإضافة إلى ذلك، إني كلي ثقة بأن المقارنة المنفتحة والصادقة للأفكار مع مواضيع الرسالة العامة «جميعنا إخوة» يمكن أن تسهل الحوار بين الأديان. في الواقع، تنشأ الأخوّة من الاعتراف بالأب الواحد. إذا كنا جميعًا أبناء لأب واحد، فيمكننا إذًا أن نسمي بعضنا البعض إخوة، والأهم من ذلك، أن نعيش على هذا النهج.

أنا ممتن لكم جميعًا، وأتمنى لكم جميعًا فهمًا مثمرًا لنص الرسالة العامة بحيث تفيدكم في الحياة الشخصية والعامة.

مدينة الفاتيكان، 17 فبراير 2021، أربعاء الرماد. ❁

لقاء البابا فرانسيس مع وفد مسلمي بريطانيا في نوفمبر 2017

شيخ الأزهر أحمد الطيب مع بابا الفاتيكان فرانسيس أثناء لقائهما في أبو ظبي

Серия

ВОЗРОЖДЕНИЕ И ОБНОВЛЕНИЕ

Силсила

«АЛ-ИСЛАХ ВА-Т-ТАДЖДИД»

МЫСЛИТЕЛИ XX ВЕКА

Али
АБД АР-РАЗИК
ИСЛАМ
И ПРИНЦИПЫ
ПРАВЛЕНИЯ
ВОЗРОЖДЕНИЕ
И ОБНОВЛЕНИЕ
МЫСЛИТЕЛИ XX ВЕКА
КНИГА ПЕРВАЯ
Махмуд
ШАЛТУТ
ИСЛАМ:
ВЕРОУЧЕНИЕ
И ЗАКОН
ВОЗРОЖДЕНИЕ
И ОБНОВЛЕНИЕ
МЫСЛИТЕЛИ XX ВЕКА
КНИГА ВТОРАЯ
Махмуд
ТАЛЕГАНИ
ИСЛАМ
И СОБСТВЕННОСТЬ
ВОЗРОЖДЕНИЕ
И ОБНОВЛЕНИЕ
МЫСЛИТЕЛИ XX ВЕКА
КНИГА ТРЕТЬЯ
Харун
НАСУТИОН
МЕСТО РАЗУМА
В ТЕОЛОГИИ
МУХАММАДА АБДО
ВОЗРОЖДЕНИЕ
И ОБНОВЛЕНИЕ
МЫСЛИТЕЛИ XX ВЕКА
КНИГА ЧЕТВЕРТАЯ

Мухаммад
АРКУН
ГУМАНИЗМ
И ИСЛАМ
ВОЗРОЖДЕНИЕ
И ОБНОВЛЕНИЕ
МЫСЛИТЕЛИ XX ВЕКА
КНИГА ПЯТАЯ
Фазлур
РАХМАН МАЛИК
ОСНОВНЫЕ ТЕМЫ
КОРАНА
ВОЗРОЖДЕНИЕ
И ОБНОВЛЕНИЕ
МЫСЛИТЕЛИ XX ВЕКА
КНИГА ШЕСТАЯ
Али
ШАРИАТИ
ИЗБРАННЫЕ
ПРОИЗВЕДЕНИЯ
ВОЗРОЖДЕНИЕ
И ОБНОВЛЕНИЕ
МЫСЛИТЕЛИ XX ВЕКА
КНИГА СЕДЬМАЯ
Нурхолис
МАДЖИД
ИБН ТАЙМИЙЙА
О КАЛАМЕ
И ФАЛСАФЕ
ВОЗРОЖДЕНИЕ
И ОБНОВЛЕНИЕ
МЫСЛИТЕЛИ XX ВЕКА
КНИГА ВОСЬМАЯ